[أخبار المتنبي]

هو أحمدُ بن الحُسين بن عبد الصمد الجُعْفِيّ الكوفيّ الملقَّب بأبى الطيب وكان والده الحسين يُعرف بعيدانَ السَّقَّا[1] .

كيف كان يكتم نسبه ب

وكان مولد المتنبي بالكُوفة سنة ثلاث وثلاث مئة وكان شاعراً عظيماً مشهوراً مذكوراً محظوظاً من الملوك والكبراء . قدم الشام فى صباه وجال فى أقطارها .

وكان يكتم نسبه . فسُئل عن ذلك ، فقال : إنى أنزل دائماً على قبائل العرب ، وأحب ألاّ يعرفونى ، خيفة أن يكون لهم فى قومى تِرَة[2] .

قال أبو الحسن « محمد بن يَحيى العلويّ »[3] .

كان أبو الطيب وهو صبيّ ينزل فى جوارى بالكوفة ، وكان محبًّا للعلم والأدب ، فصحب الأعراب فى البادية ، وجاءنا بعد سنين بدوياً قُحًّا[4] وكان تعلَّم الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين[5] فكان علمه من دفاترهم .

قوة حفظ المتنبي

وأخبرنى ورّاق قال :

ما رأيت أحفظ من ابن عيدان قَطُّ ، فقلت له : كيف ذلك ؟ فقال : كان اليومَ عندى وقد أحضر رجل كتاباً نحوَ ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ابن عِيدان ينظر فيه طويلا . فقال له الرجل : يا هذا ، أريد بيعه ، وقد قطعتنى عن

---

(١) حـ ، د ، هـ : بعبدان بالباء الموحدة وهو خطأ نبه عليه صاحب تاج العروس فى مادة : عود قال : وعيدان السقاء بالكسر لقب والد الإمام أبى الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد المتنبى الكوفى الشاعر المشهور . هكذا ضبطه الصاغانى وقال : كان أبوه يعرف بعيدان السقاء بالكسر . قال الحافظ بن حجر : وهكذا ضبطه ابن ماكولا أيضاً . وقال أبو القاسم ابن برمان : هو أحمد بن عيدان بالفتح وأخطأ من قال بالكسر فتأمل .

(٢) ترة : ثأر .

(٣) هو محمد بن عمر بن يحيى ينتهى نسبه إلى زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم ، كان من أهل الكوفة ، ثم سكن بغداد ، وكان المتقدم على الطالبيين فى وقته ، والمنفرد فى علو همته مع اليسار وكثرة الضياع والعقار . ولد سنة ٣١٥ هـ وتوفى سنة ٣٩٠ هـ ، ثم حمل إلى الكوفة لسنة أو أقل فدفن بها (هامش المقتطف يناير سنة ١٩٣٦) .

(٤) قحًّا : خالصاً .

(٥) الوراقين : الذين ينسخون الكتب ويبيعونها .

ذلك، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون — إن شاء الله — بعد شهر . قال : فقال له ابن عِيدان : فإن كنت حفظتُه فى هذه المدة فمالى عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه ، حتى انتهى إلى آخره .

قوة حافظة أبى العلاء المعرى ب

ومثله فى قوة الحافظة ، ما حكاه الأميرُ أسامةُ بن مُنْقذ [١] عن أبى العلاء المعرىّ [٢] ، قال : كان بأنطاكية [٣] خِزانة كتب ، وكان الخازن بها رجلاً عَلَوِيًّا ، فجلست يوماً عنده ، فقال لى : قد خبأتُ لك خبيئة [٤] غريبة ظريفة [٥] ، لم يُسْمَع [٦] بمثلها فى تاريخ ، ولا فى كتاب منسوخ . قلت : وما هى ؟ قال : صبى دون البلوغ ضرير يتردد إلىّ ، وقد حفَّظتُه فى أيام قلائل عدة كتب ؛ وذاك [٧] أنى أقرأ عليه الكُرَّاسة والكراستين مرة واحدة ، فلا يستعيد إلا ما يشك [٨]

---

(١) أسامة بن منقذ : كان من أكابر بنى منقذ أصحاب قلعة شيزر (حصن قرب حماة) ومن علمائهم وشجعانهم . سكن دمشق ، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى القاهرة ، وبقى بها مؤمراً معظماً إلى أيام الصالح بن رزيك فرجع إلى الشام ، وله عدة تآليف فى فنون الأدب منها لباب الآداب ، وقد طبع بمصر أخيراً بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وله شعر جيد ، ونثر فائق ، فمن شعره ما كتبه فى صدر كتاب إلى بعض أهل بيته :

شكا ألم الفراق الناس قبلى ... وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى ... فإنى ما سمعت ولا رأيت

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى اللغوى الفيلسوف الشاعر المشهور . ولد بالمعرة وهى بلدة صغيرة بالشام ، وعمى من الجدرى وهو فى الرابعة من عمره ، وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ .

(٣) أنطاكية : بفتح الهمزة وكسرها وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة : بلد معروف بالشام . ونحن نستبعد هذه الرواية عن خزانة أنطاكية ، وعن أسامة بن منقذ لأن أنطاكية أخذها الروم من المسلمين سنة ٣٥٨ هـ أى قبل ولادة أبى العلاء بنحو خمس سنين (ولد أبو العلاء سنة ٣٦٣ هـ) ولما انتزعها الروم من المسلمين أخلوها منهم ، فليس معقولا أن يكون بها خزانة كتب وخازن وتقصد للاشتغال بالعلم ، ولم يستردها المسلمون إلا فى سنة ٤٧٧ هـ أى بعد وفاة أبى العلاء (٤٤٩ هـ) بنحو ثمان وعشرين سنة ، وربما كانت أنطاكية فى هذه الرواية محرفة عن كفر طاب وهى بلدة بين المعرة وحلب . كانت مشحونة بأهل العلم ، وكان بها من يقرأ الأدب ، ويشتغل به ، وكانت لأبى المتوج نصر بن منقذ فى أيام أبى العلاء فإذا ضم إلى ذلك أن أسامة بن منقذ ولد فى سنة ٤٨٨ هـ ومات سنة ٥٨٤ هـ بدمشق زمن الأيوبيين كان ابن منقذ المروية عنه هذه الرواية هو أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ لا أسامة المولود بعد وفاة أبى العلاء — اقرأ تعريف القدماء بأبى العلاء .

(٤) كذا فى هـ ، وفى ب : خبية ، وسقطت من « ا » . (٥) حـ : طريفة .
(٦) سائر النسخ : تسمع بتاء فى أوله . (٧) سائر النسخ : وذلك .
(٨) حـ ، د ، هـ : شك .

فيه ، ثم يتلو علىّ ما قد سمعه ، كأنه[كان][1] محفوظًا له . قلت : فلعله قد يكون[2] . قال سبحانَ الله ! كل كتاب فى الدنيا يكون محفوظًا له ! ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه ، وهو صبى دَميم الخلقة ، مُجَدَّر الوجه ، على عينيه بياض من أثَر الجدرىّ كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلا ، وهو يتوقد ذكاء ، يقوده رجل طويل من الرجال ، أحسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن : يا ولدى ، هذا السيد رجل كبير القدر ، وقد وصفتك عنده ، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك . فقال : سمعًا له وطاعة ، فيختار ما يريد .

قال ابن منقذ :

فاخترت شيئًا ، وقرأته على الصبىّ وهو يموج ويستزيد ، فإذا مر بشىء يحتاج إلى تقريره فى خاطره ، يقول : أعدْ هذا ، فأردُّه عليه مرة وأخرى[3] ، حتى انتهيت إلى ما يزيد على كُراسة ، ثم قلت له : يُقْنِع هذا من قِبَل نفسى . قال : أجَل ، حرَسَك الله ! قلتَ : كذا ، وتلا على ما أمليته عليه ، وأنا أعارضه بالكتاب حرفًا حرفًا ، حتى انتهى إلى حيث وقفت عليه ، فكاد عقلى يذهب لِما رأيتُ منه ، وعلمتُ أنه ليس فى العالم من يقدر على ذلك إلا أن يشاء الله ؛ وسألت عنه ، فقيل لى : هذا أبو العلاء المعرىّ التنوخىّ من بيت العلم والقضاء والثَّروة والغَناء[4] .

وأعجب من هذه ، ما حكَى بعضُ طلبته عنه ، قال :

كان لأبى العلاء جار أعجمىّ . فاتفق أنه غاب عن المَعَرة ، فحضر رجل أعجمى يطلبه ، قد قدم من بلده ، فوجده غائبًا ، فلم يمكنه المُقام ، فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه . فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية ، وأبو العلاء يصغى إليه ، إلى أن فرَغ من كلامه ، ولم يكن أبو العلاء يعرف الفارسية ، ومضى الرجل ، وقدِم جارُه الغائب . وحضر عند أبى العلاء ، فذكر له حال الرجل ، وجعل يذكر له بالفارسية ما قال ، والرجل يبكى ويستغيث ويلطِم ، إلى أن فرغ

---

(١) زيادة تستقيم بها العبارة .

(٢) كذا فى الأصل ، سائر النسخ : قد يكون محفوظاً له .

(٣) ب : فأرده عليه مرة أخرى . سائر النسخ : فأردده عليه مرة أخرى .

(٤) الغناء : النفع وقد رسمت فى النسخ الأخرى بالألف بدون همزة بعدها .

من حديثه ، وسُئل عن حاله ، فأخبرَ أنه أُخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله .

ومثل هذه ما ذكره تلميذه أبو زكريا التبريزى[١] :

أنه كان قاعداً فى مجلسه بمعرَّة النعمان بين يدى أبى العلاء ، يقرأ شيئًا من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدى ، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته ، وتغيرت من الفرح . فقال لى أبو العلاء : أىّ شىء أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جاراً لى ، بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدى سنين . فقال : قمْ فكلمه . فقلت حتى أتمم السبَق[٢] . فقال : قم وأنا انتظرك . فقمت وكلمته بلسان الأذْرَبية[٣] شيئًا كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما بدا لى ، فلما رجعتُ ، ووقفت بين يديه ، قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذْرَبيجان . فقال لى : ما عرفتُ اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتَه ، ثم أعاد علىّ اللفظ بعينه ، من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . وهذا من أعجب العجائب ، لأنه حفظ ما لم يفهمه .

وحكى عنه بعض أصحابه أيضًا أن جاراً سمّانًا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة ، فجاء ذلك الرجل ، وحاسبه برقاع يستدعى فيها ما يأخذه منه عند حاجته إليه . وكان أبو العلاء فى غرفة يسمع محاسبتهما . قال : فسمع أبو العلاء السمان المذكور بعد مدة يتأوَّه ويتململ ، فسأله عن حاله ، فقال : كنت حاسبت فلانًا برقاع كانت له عندى ، وقد عدمتها ، ولا يحضرنى حسابه . فقال : ما عليك من بأس ، أنا أملى عليك حسابه ، وجعل يملى معاملته رقعة برقعة ، والسمان يكتبها ، إلى أن فرغ وقام ، فما مضت إلا أيام يسيرة ، ووجد السمان الرقاع ، فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء ، فطابق إملاؤه الرّقاع .

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب ، أحد أئمة اللغة ، كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما ، وكان ثقة فى اللغة وما ينقله ، وصنف فى الأدب كتباً كثيرة منها : شرح الحماسة ، وشرح دواوين أبى تمام والمتنبى والمعرى وشرح المعلقات والمفضليات ولد سنة ٤٢١ وتوفى ببغداد سنة ٥٠٢ هـ .

(٢) السبق : بالتحريك المقدار الذى يقرأ فى الدرس عادة .

(٣) جميع النسخ : الأدربية بالدال المهملة وفى هامش (هـ) : الأذربية بالذال المعجمة نسبة إلى أذربيجان وهو المعروف ولذلك أثبتناه .

ما صدر بين ابن عباس وبين ابن الأزرق بسبب شعر ابن أبي ربيعة

والعَلَم الفرد فى قوة الحافظة عبدُ الله بن عباس [١] ، رضى الله عنهمـــا .

قال أبو العباس[٢] المبرد فى كامله : ويُروَى أن ابن الأزرق[٣] أتَى ابن عباس يومًا ، فجعل يسأله حتى أمَلَّه[٤] ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة[٥] على ابن عباس وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئًا من شعرك ؟ فقال :

أمِن آل نُعْمٍ أنتَ غاد فمُبْكِرُ ... غداة غَدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ[٦]

بحاجة نفس لم تقلْ فى جوابهـــا ... فتَبْلُغَ عُذْراً والمقالة تُعْذِرُ[٧]

تَهُمُّ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصول ولا القلب مُقصر[٨]

ولا قرب نُعم إن دنت لك نافعٌ ... ولا نأيُها يُسْلِى ولا أنت تَصْبِر

وأخرى أتتْ من دُونِ نُعم ومثلُها ... نَهى ذو النهى لو يَرعوِى أو يُفكر[٩]

---

(١) هو عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد عام الهجرة ، وكان يلقب بحبر قريش لسعة علمه وأكثر ما اشتهر به أقواله فى تفسير القرآن . مات سنة ٧٠ هـ عن سبعين عاماً ، وقيل سنة ٦٨ هـ بالطائف .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ثم نزل بغداد ، وكان من أئمة العربية فى عصره ، حسن المحاضرة ، فصيح اللسان ، واسع العلم بالأخبار والنوادر ، ومات سنة ٢٨٦ هـ ببغداد .

(٣) هو نافع بن الأزرق الذى صار بعد التحكيم رئيس فرقة من الخوارج تسمى الأزارقة ، وكان من أكبر فقهائهم ، وقد كفر جميع المسلمين ما عدا أتباعه .

(٤) انظر الجزء الثانى من الكامل للمبرد ص ١٤٧ طبعة المطبعة العلمية .

(٥) شاعر قرشى من بنى مخزوم نشأ بالمدينة فى أسرة كريمة ، وقد اشتهر برقة غزله ، وشعره القصصى ، يصف فيه أحوال النساء وما يكون بينهن من تزاور ومداعبة ، وما اعتدنه من محادثة فى لفظ رشيق ، ومعنى أنيق ، ومات سنة ٩٣ هـ .

(٦) نعم : اسم محبوبته . مهجّر : من هجّر الراكب تهجيرًا إذا سار وقت الهاجرة .

(٧) فى هامش (هـ) عن نسخة والديوان طبع بيروت ١٣١١ هـ : لحاجة . وعن إسحق الموصلى قلت لأعرابى ما معنى قول عمر بحاجة نفس ... قال قام كما جلس . تعذر : من أعذر إذا أثبت له عذراً ، ومعنى البيتين أن الشاعر يسأل نفسه : أهو منصرف عن صاحبته نعم فى يوم من الأيام ولما يظفر بحاجته منها مع كلفه بها ؟

(٨) فى هامش (هـ) عن نسخة والديوان : أهيم . مقصر . من أقصر عن الشىء إذا كف عنه ونزع مع القدرة عليه .

(٩) وأخرى : أى وصعوبة أخرى ومعنى البيت : عن مثل هذه الصعوبة نهى ذو العقل . وفى الكامل والديوان « ذا النهى » والمعنى على هذه الرواية نهى مثل هذه العقبة ذا النهى عنها ومعنى البيت أن أمام المحب عقبة دون ما يريد من حب نعم لو عرضت لغيره لانتهى عن حبه وسيفصل ذلك فى البيتين التاليين .

إذا زُرتُ نُعماً لم يَزَلْ ذو قرابة ... لهـا كُلَّما لاقيته يتَنَهَّر (١)
عزيزٌ عليـه أن أمُرَّ ببابها ... يُسِرّ لى الشَّحناء والبغْضَ يُظهر (٢)
ألكْنِى إليها بالسَّلام فإنـه ... يُشهِّر إلمامى بهـا ويُنكِّر (٣)
بآية ما قالت غداةَ أجبتُهـا ... بمَدْفع أكنان أهذا المُشَهَّر (٤)
قِفى فانظرى يا أسْمَ هل تعرفينه ؟ ... أهذا المُغيريّ الذى كان يُذكَر (٥) ؟
أهذا الذى أطْرَيت نعتاً فلم أكُنْ ... وعيشك أنسـاه إلى يوم أقْبَر
فقالت : نَعَم لاشكَّ غيَّرَ لونَه ... سُرَى الليل يُحيِي نصَّه والتَّهجُّر (٦)
لئن كان إياه لقد حال بَعْدنا ... عن العهد والإنسانُ قد يتغيرُ
رأتْ رجلاً أما إذا الشمس عُارضتْ ... فيَضْحَى وأما بالعَشِى فيَخصر (٧)

حافظة ابن عباس ب

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يابنَ عباس ! أنضربُ إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتُعْرِضَ ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سَفهاً فتسمعَه ؟ ! فقال : تالله ما سمعت سَفهاً فقال ابن الأزرق :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عُارضتْ ... فيَخزى وأما بالعشىّ فيَخسَر (٨)

---

(١) فى الديوان وهامش (ه) عن نسخة : لاقيتها . وفى جميع النسخ : يتنهر وفى الديوان والكامل وهامش (ه) عن نسخة : يتنمر .

(٢) فى حـ : أن أمس بنانها . وفى الديوان وهامش (ه) عن نسخة : أن ألم ببيتها .

(٣) ألكنى من الألوكة وهى الرسالة ، ولفظه يقضى بأن المخاطب مرسل ، وأن المتكلم رسول ، والعرب إنما تستعمله بمعنى كن رسولى إليها فهو من المقلوب المعنى .

وفى حـ ، د ، ه : أكنى بدل : ألكنى أى لا أستطيع أن أصرح باسمها إذا ألممت بدارها .

(٤) أكنان بالنون فى ب ، د ، ه والأغانى والأمالى والديوان . وفى ا ، حـ : أكناف تحريف . ومدفع أكنان : موضع .

(٥) فى الديوان وهامش ه عن نسخة : أسماء بدل (يا أسم) . (٦) النص : السير السريع .

(٧) يضحى : من ضحى للشمس كرضى وسعى : إذا برز لها . يخصر : من الخصر بالتحريك وهو البرد يجده الإنسان فى أطرافه . عن الأصمعى قال : قال لى الرشيد أنشدنى أحسن ما قيل فى رجل قد لوحه السفر ، فأنشدته قول عمر :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت . . . . . .
أخا سفر جواب أرض تقاذفت ... بـه فلوات فهو أشعث أغبر

فقال : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم .

(٨) والبيت على حسب ما قال ابن الأزرق تبجح بالغواية ، يصفه بأنه يستحيى من سوء عمله إذا ظهر للناس فى ضوء النهار ، فإذا ما أقبل الليل فهو سادر فى غوايته .

فقال ما هكذا قال ، وإنما قال : « فيضحى وأما بالعشيّ فيخصّر » .

قال : أوَتحفظ الذى قال ؟ [١] قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئتَ أن أرُدّها لرددتها [٢] . قال : فارُددْها فأنشده إياها كلَّها .

أول معرفة البحترى بأبى تمام

ومثلها ما حكاه أبو عبادةَ البُحتريّ عن أبى تمام ، قال البحترى : أول ما رأيتُ أبا تمام أنى دخلتُ على أبى سعيد محمد بن يوسف [٣] وقد مدحتُه بهذه القصيدة :

أ أفاقَ صَبٌّ من هوًى فأُفيقـــا ... أم خان عهداً أمْ أطاع شفيقَا
إن السلوَّ كما زعمت [٤] لَراحةٌ ... لوْ راح قلبى للسلُوّ مُطيقـــا
هذا العقيقُ وفيه مَرْأًى مُونِقٌ ... للعين لو كان العقيقُ عقيقـــا [٥]

---

(١) كان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئاً قط إلا رويته ، وإنى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول . ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة فقال : إنا نستجيدها ، وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئاً بعدنا ؟

ولوم ابن الأزرق ابن عباس على استماعه لشعر عمر يمثل رأى المتشددين فى وجوب أن يكون الأدب خالياً من كل ما يقبح ، أو يثير الميول الدنيئة ، وهناك رأى أوسع من هذا يرى أصحابه أن يكون الأدب صورة صادقة لأحاسيس النفس وواقع الحياة سواء منها الخير والشر ، وصنيع ابن عباس فى رواية هذا الشعر فى المسجد يؤيد هذا الرأى الأخير .

(٢) حـ ، د ، هـ : ان أوردها لأوردتها .

(٣) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بأبى سعيد الثغرى نسبة لعمله معظم أيامه فى ثغور المسلمين . كان قائداً من كبار القواد تحت إمرة الأفشين مع أبى دلف ومحمد بن حميد الطوسى . وأصله من مرو ، وفى ذلك يقول أبو تمام :

غربته العلا على كثرة الأه ... ل فأضحى فى الأقربين جنيبا
فليطل عمره فلو مات فى مر ... و مقيما بها لمات غريبـــا

وقد كان أبو سعيد جواداً متصل العطاء وإن لم يكثر ، وهو أحد ممدوحى أبى تمام الذين دام اتصاله بهم حتى الممات ، وربما كان ذلك لجوده المتصل كما قدمنا ، ولأنه طائى مثله ، وكان عقد له على أرمينية وأذربيجان ، مات فجأة سنة ٢٣٦هـ ، وولى المتوكل ابنه يوسف ما كان لأبيه من الحرب وخراج الناحية . وللبحترى فى أبى سعيد مدائح كثيرة ، يشيد فيها بشجاعته وجوده وسداد رأيه وحسن بلائه فى غزو الروم ، ومحاربة الخوارج منها :

الهزبر الذى إذا التقت الحر ... ب به صرف الردى كيف شاء

(٤) فى هامش هـ عن نسخة : تقول .

(٥) العقيق : اسم لعدة أماكن فى الحجاز أشهرها عقيق المدينة وهو واد تنزله الطبقة الغنية من أهل المدينة . يقول إن بالعقيق لمنظراً يقيد النظر بحسنه لو كان كمهدنا به آهلا بمن نحب .

أشقيقةَ العَلَمَيْن هل من نظرةٍ ... فتَبُلَّ قلباً للغليل شقيقا ؟ (١)
وَسَمَتْكِ أرْديةُ السماءِ بديمةٍ ... تُحيي رجاءً أو تردُّ عشيقا
ولئن تناول من بشاشتك البِلَى ... طرفاً وأوحش أنسَكِ المومُوقا (٢)
فلربَّ يوم قد غَنِينا نجتلى ... مغناكِ بالرَّشأ الأنيق أنيقا (٣)
علَّ البخيلةَ أن تجود بها النَّوى ... والدارَ تجمع شائقاً ومشوقا
كذب العواذلُ أنت أفتكُ لحظةً ... وأغضُّ أطرافاً وأعذبُ ريقا (٤)
ماذا عليك لو اقتربتِ لموعدٍ ... يُنْسِي الجوى وسقَيْتِنا ترنيقا (٥)
غدت الجزيرةُ في جناب محمدٍ ... ريَّا الجنابِ مَغاربًا وشروقا (٦)
بَرَقتْ مخايلُه لها وتَخرّقتْ ... فيها عزَالِي جُودِه تخريقا (٧)
صفحتْ له عنها السنونَ وواجهت ... أطرافُها وجهَ الزمان طليقا (٨)
رفع الأميرُ أبو سعيد ذكرَها ... وأقام فيها للمكارم سُوقا
يستمطرون يدًا يفيضُ نوالُها ... فيُغرقُ المحرومَ والمرزوقا
يَقِظٌ إذا اعترض الخطوبَ برأيه ... ترك الجليلَ من الخطوب دقيقا
هلا سألتَ محمداً بمحمدٍ ... تَجِد الخبيرَ الصادقَ المصدوقا (٩)
وسَل الشُّرَاةَ فإنهم أشقى به ... من أهل مُوقانَ الأوائلِ موقا (١٠)

---

(١) شقيقة العلمين : مكان يقصده الشاعر . وقلباً شقيقاً : مشقوقاً منفطراً من الظمأ ، والمراد به حرارة الشوق . يقول : هل لى من نظرة إليك تطفئ حرارة ذلك الشوق الملتهب ؟

(٢) المومق : المحبوب .

(٣) الرشأ : الظبى إذا قوى ومشى مع أمه . الأنيق : الحسن المعجب . المغنى : المنزل .

(٤) فى مخطوطتى الديوان ، وهامش ه عن نسخة : أقتل .

(٥) الترنيق : التكدير والتصفية من الأضداد وهو هنا بمعنى الثانى .

(٦) الجزيرة : الأرض التى بين دجلة والفرات من الشمال .

(٧) برقت مخايله : دل وجوده بها على ما ينتظر لها من الخير . التخرق : التوسع فى السخاء . العزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية ونحوها ، والمراد أنه أفاض عليها من كرمه وأغدق .

(٨) السنون : جمع سنة والمراد بها الجدب .

(٩) بمحمد : أى عن محمد ، قال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » أى عن عذاب واقع ، ولعل المراد بالمسئول هنا محمد بن حميد الطوسى ، وكان أبو سعيد قائداً تحت إمرته ، فهو أعلم بشجاعته وإقدامه .

(١٠) الشراة : الخوارج ، جمع شار ، سموا أنفسهم بذلك أخذاً من قول الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... » إلخ الآية . وموقان : ولاية بها قرى ومروج كثيرة يحتلها =

كنا نُكفرُ من أميةَ عُصبةً ... طلبوا الخلافةَ فَجْرةً وفسوقا
ونقول تيمٌ قرّبتْ وعَدِيُّها ... أمراً بعيداً حيث كان سحيقا[١]
ونلومُ طلحةَ والزبيرَ كليهما ... ونُعنّف الصديق والفاروقا[٢]
وهمُ قريشُ الأبطحيْنِ إذا انتموا ... طابوا أُصولا فيهمُ وعروقا[٣]
حتى انبرتْ جُشَمُ بنُ بكر تبتغي ... إرث النبيّ وتدّعيه حقوقا[٤]
جاءوا براعيهمْ ليتخذوا به ... عمْداً إلى قطع الطريق طريقا[٥]
طرحوا عباءته وألقوْا فوقه ... ثوبَ الخلافة مُشْرَبًّا رَاووقا[٦]
عقدوا عمامتَه برأسِ قَناتِه ... ورَأَوْه برّاً فاستحال عقوقا
وأقام يُنفِذُ في الجزيرة حُكْمَه ... ويظنُّ وعدَ الكاذبين صَدوقا

=التركمان للرعى ، فأكثر أهلها منهم وهى بأذربيجان . الموق : طرف العين مما يلى الأنف ، والمراد العين كلها . وفى البيت إشارة واضحة إلى اشتراك أبى سعيد فى محاربة الخوارج وإلى اشتراكه فى محاربة « بابك الخرمى » الذى كان ابتداء خروجه سنة ٢٠١ هـ ، وقد حدثت وقائع فى البلد مدينة « بابك » ، وفى موقان وغيرهما ، ووقع بابك أسيراً فى سنة ٢٢٢ هـ وحمل إلى المعتصم ، فأمر بقطع يديه ورجليه ، ثم بذبحه ، وأرسل رأسه إلى خراسان ، وصلب بدنه بسامرا التى بناها المعتصم ، وكانت عاصمة الخلافة فى ذلك الحين .

(١) تيم : رهط أبى بكر ، وعدى : رهط عمر رضى الله عنهما .

(٢) طلحة والزبير شيخان عظيمان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وقد كان لهما موقف معروف إلى جانب أم المؤمنين عائشة فى وقعة الجمل . ا ، ب : (كلاهما) ولا وجه لرفعها .

(٣) هم قريش الأبطحين : يقال قريش البطاح أى الذين ينزلون بين أخشبى مكة أى جبليها العظيمين : أبى قبيس والأحمر .

(٤) جشم بن بكر : جماعة من تغلب خرجت على الخليفة بقيادة محمد بن عمرو الخارجى فى ثلاثة عشر رجلا فخرج إليهم غانم بن أبى مسلم بن حميد الطوسى ، وكان على حرب الموصل فى مثل عدتهم ، فقتل من الخوارج أربعة وأخذ محمد بن عمرو أسيراً وبعث به إلى سامرا فسجن بمطبق ببغداد ، وقطع رءوس أصحابه . فعلقت هى بأعلامهم عند خشبة بابك ، وقد ذكر البحترى هذه الموقعة مفصلة فى القصيدة التى يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف التى أولها :

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل ... يرد قولا على ذى لوعة يسل

والظاهر أن أبا سعيد كان مع غانم هذا فى تلك الموقعة .

(٥) حـ ، د : عهداً فى موضع (عمداً) .

(٦) ب ، حـ ، د : شرباً بدل مشرباً تحريف . وفى جميع النسخ والديوان : راووقاً ، والراووق : المصفاة ، والباطية ، فاجود الشراب الذى يروق به وليس فى واحد من هذه المعانى ما يناسب ما نحن فيه ولعلها محرفة عن : زاووقا ، ومن معانيه الزئبق ومنه التزويق للتزيين والتحسين لأنه يجعل مع الذهب فيطلى به يدخل فى النار فيطير الزاووق ويبقى الذهب ثم قيل لكل منقش ومزين مزوق والمعنى أنهم ألقوا فوقه ثوب الخلافة مزوقاً مزيناً تمويهاً وخداعاً .

حتى إذا ما الحيةُ الذكرُ انكفا ... من أرْزَن حَنَقا يَمُجُّ حريقا[١]

غضبانَ يلقى الشمسَ منه بهامة ... تُغْشى البُروقَ تألُّقًا وبريقا[٢]

أوْفى عليه فظلَّ من دَهَشٍ يظ ... نّ البرَّ بحرًا والفضاءَ مَضيقا

غَدَرتْ أمانيــه به وتمزَّقتْ ... عنه غَيابةُ سُكْرِه تمزيقــا[٣]

طلعتْ جيادُك من رُبَا الجودىّ قد ... حُمِّلْنَ من دُفَعِ المنون وسُوقا[٤]

يطلبْنَ ثارَ اللهِ عند عصابة ... خلعوا الإمامَ وخالفوا التوفيقا

يرمون خالقَهم بأقبحِ فعلهم ... ويُحرِّقون قُرآنَه المنسوقا[٥]

فدعا فريقاً من سيوفِك حَتْفُهُم ... وشددتَ في عُقَدِ الحديدِ فريقا

ومضى ابنُ عَمرو قد أساء بعُمره ... ظنًّا يُنزِّق مُهرَه تنزيقــا[٦]

ركِبتْ جوانحَه قوادمُ رَوْعِه ... فخذفته خَذْفَ المرير الفُوقا[٧]

فاجتاز دجلةَ خائضًا وكأنها ... قَعْبٌ على باب الكُحَيْل أريقا[٨]

---

(١) الحية الذكر : كناية عن أبى سعيد . الحنق : المغيظ . يمج حريقاً : كناية عن شدة الغيظ والغضب . أرزن : مدينة بأرمينية .

(٢) هـ ، مخطوطة الديوان : غضبان تلقى الشمس منه مهابة . . .

والديوان طبع القاهرة : غضبان يلقى الشمس منه بهامة . . .

ب ، جـ ، د : تغشى العيون . . . بالغين المعجمة . هـ : تعشى العيون بالمهملة . والمراد أن على رأسه بيضة لها لمعان يستر لمعان البروق .

(٣) حـ : غياهب بدل غيابة .

(٤) دفع المنون : أمواجه . سائر النسخ : دفن مكان دفع . الوسوق : جمع وسق وهو الحمل .

(٥) قرآنه : مخفف قرآنه . حدث إبراهيم بن عبد الله الكجى قال : قلت للبحترى : ويحك أتقول فى قصيدتك التى مدحت بها أبا سعيد « أأفاق صب من هوى فأفيقا » : يرمون خالقهم . . . أصرت قدريا معتزليا فقال : كان هذا دينى فى أيام الواثق ثم فزعت عنه فى أيام المتوكل . فقلت له : يا أباعبادة ، هذا دين سوء يدور مع الدول .

(٦) نزقه : جعله يعدو بسرعة وخفة .

(٧) الأصل : فحدفته حدف المرير القوقا . محرف .

ب ، حـ ، د : والديوان طبع القاهرة : فحذفته حذف . . . . هـ : فخذفته خذف . . . الديوان وهامش (هـ) عن نسخة : الفوقا .

حذف أو خذف : رمى . المرير : الحبل اشتد فتله . القوق : طائر مائى طويل العنق ولا معنى له هنا . الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر والمراد . أن حصانه قد حمله الخوف والفزع فطار كأنه السهم يطير من القوس .

(٨) الكحيل : موضع بالجزيرة .

لو خاضها عمليقٌ اوْعُوْجٌ إذنْ ... ما جَوَّزَتْ عُوجًا ولا عمليقا[١]

لولا اضطرابُ الخوف فى أحشائه ... رسب العُبابُ به فمات غريقـا

خاض الحتوفَ إلى الحتوف مُعانقاً ... زَجِلا كَفَهْرِ المنجنيق عتيقا[٢]

يجتابُ حزَّةَ سهلها ووُعورَها ... والطيرُ هان مُرادُه ودَقوقا[٣]

لو نَفَّسَتْه الخيلُ لفتةَ ناظـرٍ ... ملأ البـلادَ زلازلاً وفُتوقا

لَثَنَى صُدورَ السمْرِ تكشف كُربةٌ ... ولَوَى رؤوسَ الخيل تفرُجُ ضيقا[٤]

ولَبَكَّرتْ بكرٌ وراحتْ تَغلبٌ ... فى نصرِ دعوته إليه طُروقا

حتى يعودَ الذئبُ ليثًا ضَيْغما ... والغصنُ ساقًا والقرارةُ نيقا[٥]

ههيهات مارسَ قَلْقلاً مُتَيقظا ... قَلِقًا إذا سكن البليدُ رشيقا[٦]

مُستسلفا جعلَ الغَبوقَ صَبوحَه ... ومَرَى صَبوحَ غد فصار غَبُوقا[٧]

لله ركضُكَ إذ يُبادرُك المدى ... ومُبينُ سَبْقِك إذ أتى مسبوقا[٨]

جاذبتَه فضلَ الحياة فأفلتتْ ... من كَفِّه قَمِنًا بذاك حقيقا

فرددْتَ مهجتَه وقد كَرَعَ الرَّدى ... لِيَحُفَّ منهـا منهلا مطروقا[٩]

---

(١) عمليق ويقال عملاق واحد العماليق والعمالقة وهم قوم تفرقوا فى البلاد ضرب بهم المثل لشدتهم وعظم أجسامهم . عوج بن عوق بضم العين فيهما رجل يزعمون أنه مفرط فى الطول وشناعة الخلقة .

(٢) زجلا : من الزجل وهو الجلبة ورفع الصوت . فهر المنجنيق : حجره ، والمراد أنه كحجر المنجنيق فى الصلابة .

(٣) جميع النسخ ومطبوع الديوان : يجتاب حرة بالحاء والراء المهملتين والصواب حزَّة بالزاى وهى موضع بين نصيبين ورأس عين أو بلد قرب الموصل ، دقوقا : بالقصر ويمد مدينة بين إربل وبغداد كان بها وقعة للخوارج .

(٤) جميع النسخ : كربه وفى الديوان وهامش (ه) عن نسخة : كربة .

(٥) ه ، الديوان : القرارة كما أثبتنا وسائر النسخ : القرادة تحريف .
النيق : أرفع مكان فى الجبل .

(٦) مارس أى الخارجى . قلقلا أى رجلا قلقاً نشيطاً وهو وما بعده من صفات أبى سعيد .

(٧) ه ، نسختا الديوان : مرى بمعنى جحد . ا ، ب ، حـ ، د : يرى تحريف ، والمعنى أنه لفرط نشاطه يسبق الأوقات وما ينبغى أن يكون فيها من أعمال ؛ فهو يتعجل الغبوق فيتناوله صباحاً ويتعجل الصبوح فيتناوله مساء .

(٨) ا ، ب ، حـ ، د : سيفك . ه ، والديوان : سبقك وهو الصواب ، يعجب من سرعة أبى سعيد وهو يطارد ابن عمرو وقد فر يريد سبقه إلى غايته ويعجب من إدراكه إياه فلم يستطع منه فراراً .

(٩) ا : ليحف . ب ، حـ ، د ، ه : ليحف ومعناه يطوف والغرض أنه يذوق طعم الموت مرة بعد أخرى .

لَبِس الحديدَ أساورًا وخلاخلاً ... فكفيتَه التسويرَ والتطويقا(١)
بالتلّ تلّ ربيعَ بين مواضع ... ما زال دينُ الله فيها يُوثِق
ساتيدَما وسيوفُنا فى هضبة ... يَقْرِى إياسٌ بها الطلى والسوقا(٢)
حتى تناول تاجَ قَيْصرَ مُشربًا ... بدم وفرّق جَمْعَه تفريقا
والجازِران وهتْمُ إبراهيم فى ... ثنْيَيْهما تلك الثنايا الرُّوقا(٣)
قُتِلَ الدعى ابنُ الدعىّ بضربة ... خَلْسٍ وخُرّق جيشُه تخريقا(٤)
والزاب إذ خانَتْ أميةُ فاغتدت ... تُزْجى لنا جَعْدِيَّها الزِنديقا(٥)
كَشفوا بتلِ كُشافَ أروقةَ الدُّجى ... عن عارض ملأ السماءَ بُروقا(٦)
نِلناهمُ قبل الشروق بأذرُع ... يَهْزُزْنَ فى كَبِدِ الظلام شُروقا(٧)
حتى تركنا الهامَ يندبُ منهمُ ... هامًا ببطن الزابِيَيْنِ فَليقا(٨)

---

(١) ا ، ب ، حـ ، د : فكفيته . هـ : فكفينه .

(٢) حـ ، د ، هـ : سالت دماء سيوفنا تحريف والصواب ما أثبتنا ، ساتيدما بألف مقصورة نهر بقرب أرزن وقيل جبل وقيل اسم واد ، يشير بذلك إلى أن كسرى أبرويز وجه إياس بن قبيصة الطائى عامله على الحيرة لقتال الروم بساتيدما فلقيهم بها وهزمهم فافتخر بذلك البحترى لأنه طائى مثله .

(٣) الجازران : قريتان إحداهما بنواحى النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، والأخرى من قرى السهول بالقرب من حلب .

ب ، حـ ، د ، والديوان الخازران . تحريف .

هتم : تكسير وتهشيم . ثنييهما : هكذا فى ا وهامش هـ عن نسخة ، والديوان أى منحنياتهما ، وفى سائر النسخ ثنيتهما . الثنايا : جمع ثنية وهى العقبة أو الطريق فى الجبل .

الروق : جمع أروق وهو من طالت أسنانه العليا على السفلى ولعله يقصد بإبراهيم إبراهيم بن مصعب من أكبر قواد الدولة العباسية .

(٤) خلس : سريعة . فى هامش هـ عن نسخة وفى الديوان : وحرق جيشه تحريقا .

(٥) خانت بالخاء المعجمة فى جميع النسخ . وفى نسختى الديوان : حانت بالحاء المهملة ومعناها : هلكت . تزجى : ساقطة من ا ، ب ، حـ ، د تزجى . تحريف .

الزاب : نهر بين الموصل وإربل ، ويسمى الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل بين شهرزور وأذربيجان ، وهما من روافد دجلة من الشرق بينهما مسيرة يومين أو ثلاثة . والجعدى هو مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين نسب إلى أستاذه الجعد بن درهم ، وكان فيلسوفاً يرمى بالزندقة .

(٦) تل كشاف بضم الكاف موضع بناحية الزاب أى كان هؤلاء الأعداء لكثرة عددهم وشدة لمعان أسلحتهم ينيرون ظلام الليل .

(٧) ا ، ب ، حـ ، د : أدرع وفى هـ والديوان : أذرع .

(٨) الهام : جمع هامة وهى فى زعم العرب طائر يخرج من قبر القتيل يصيح : اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره ، والهام الثانية جمع هامة بمعنى الرأس .

يا تغلبَ ابنةَ تغلب حتّى متى ... تَردون كُفْرًا مُوبِقا ومُروقا[١]
تتجاوبون بدعوة مخذولة ... دعوى الحميرِ إذا أردنَ نهيقا[٢]
ولقد نظرنا فى الكتاب فلم نجدْ ... لمقالكم فى آية تحقيقا
أوَ ما علمتمْ أنّ سيفَ محمد ... أمسى عذابًا بالطغاة مُحيقا[٣]
لا تَنتضوه بأن ترومُوا خُطةً ... عسراءَ تُعيى الطالبين لُحوقا
لا تحسبُنّ الناسَ إن صَفَرَتْ بهم ... رُعيانُكم بَهْمًا أطاع ونُوقا[٤]
خَلّوا الخلافةَ إنّ دون لِقائها ... قَدَرًا يأخذ الظالمين خليقا
قد ردّها زيدُ بنُ حِصن بعدما ... مدّوا عليه رِداءَها المشقوقا[٥]
بالنّهروان فعاهدوه وأكدوا ... عَقْدًا له بين القلوب وثيقا[٦]
ورجالُ طَىّ مُصْلِتون أمامَه ... وَرَقًا هناك من الحديد رقيقا
لم يَرْضَها لمـا اجتلاها صَعبةً ... لم تَرْضَه خِدنًا لهـا ورفيقا[٧]
لو واصلت أحدًا سوى أصحابها ... منهمْ لكان أخًا لها وصديقا[٨]

فسُرّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يا فتى .

ما جرى بين أبى تمام والبحترى

وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه ، فوق كل من حضر فى مجلسه ، يكاد يمسّ ركبته ، فأقبل علىّ وقال : يا فتى أمَا تستحى[٩] ؟ هذا شعرى تنتحله

---

(١) كذا فى ا ، نسختى الديوان . وفى سائر النسخ : بروقا يريد سيوفاً كالبروق ونستبعد هذه الرواية لأن البحترى لا يكرر القافية بعد بيتين

(٢) كذا فى ا ، ب والديوان وهامش هـ وفى حـ ، د ، هـ : يتجاذبون .

(٣) هـ : عذاباً للطغاة .

(٤) صفر بالحمار من باب ضرب : دعاه بالصفير ليشرب ، والخطاب فى البيت لتغلب ابنة تغلب الذين وجه إليهم النداء فى البيت (٦١) ويقول لهم هنا إن دعوتهم ليست من الدين فى شىء وإنهم يشبهون الحمير فى ترديدها . البهم جمع بهمة وهى ولد الضأن .

(٥) حـ ، د : وردها تحريف بدليل قوله بعد : لم يرضها . وزيد بن حصن أحد الثوار فى هذا العهد وظاهر أنه ادعى الخلافة ولبس ردامها وكان ذلك بالنهروان وهى وكر الخوارج منذ نشئوا .

(٦) سائر النسخ : تعاهدوه وفى هـ عن نسخة ومطبوع الديوان : وعاهدوه . مخطوط الديوان : وعاقدوه .

(٧) اجتلاها كذا فى نسختى الديوان ، هـ من اجتلاء العروس . سائر النسخ : اختلاها .

(٨) سائر النسخ : لكان لها أخاً ، والوزن مستقيم .

(٩) أما تستحى كذا فى حـ وفى غيرها بسقوط الهمزة .

وتنشده بحضرتى ؟ فقال أبو سعيد : أحقًّا ما تقول[١] ؟ قال : نعم . وإنما علقه منى فسبقنى به إليك ، ثم اندفع فأنشد القصيدة حتى شككنى — علم الله — فى نفسى ، وبقيت متحيراً فأقبل علىّ أبو سعيد وقال : يافتى لقد كان فى قرابتك منا ، وودّك لنا ما يُغْنيك عن[٢] هذا ، فجعلت أحلف بكل مُحرجة من الأيْمان أن الشعر لى ، ما سبقنى إليه أحد . ولا سمعته ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئًا ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع الكلام حتى تمنيت أنى سُخْتُ فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجر رجلىّ فخرجتُ ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان إلىّ[٣] فردونى ، فأقبل علىّ الرجل ، وقال : الشعر لك يا بنى ؛ والله ما قلتهُ قطّ ، ولا سمعتُ به إلا منك ، ولكن ظننت أنك تهاونتَ بموضعى فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك مُضاهاتى ومُكاثرتى حتى عرّفنى الأمير نسَبَك وموضعَك ، ولَوَدِدْتُ ألاّ تلدَ طائية إلا[٤] مثلَك . وجعل أبو سعيد يضحك ، فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى ، وأقبل يُقَرِّضنى[٥] ولزمته بعد ذلك ، وأخذت عنه ، واقتديت به[٦] .

---

(١) أحقاً ما تقول ، كذا فى هـ وفى غيرها بسقوط (ما) .

(٢) ا : ما يغنيك من .

(٣) كذا فى ا ، ب وفى غيرهما : علىّ بدل إلىّ .

(٤) إلا : ساقطة من سائر النسخ .

(٥) هـ : يقرظنى وهما بمعنى .

(٦) قال الوليد بن عبيد البحترى : كنت فى حداثتى أروم الشعر ، وأرجع فيه إلى طبعى ، ولم أكن أقف على تسهيل مآخذه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقطعت فيه إليه ، واتكلت فى تعريفه عليه ، فقال لى : تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، وأحسن الأوقات لتأليف شىء أو حفظه وقت السحر ، لأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت فى مديح سيد ذى أياد ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضد المعانى ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسنه العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله .

وروى أبو العباس سوار بن شراحة قال : حدثنى البحترى قال : كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى فيه أنى صرت إلى أبى تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال : أنت أشعر من أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خلة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشهد لى إليهم ، وقال : امتدحهم فصرت إليهم بكتابه فأكرمونى ووظفوا لى أربعة آلاف درهم وكان أول ما أصبته بالشعر .

حافظة بديع الزمان ب

ونادرة الدنيا فى سرعة الحفظ الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان(١) الهَمَذانى ، فإنه كان يُنشدُ القصيدة التى لم يسمعها قطّ فيحفظها كلها ويؤديها(٢) من أولها إلى آخرها لا يَخْرم حرفًا ، وينظر فى الأربعة والخمسة الأوراق(٣) من كتاب لا يعرفه ثم يهذها(٤) عن ظهر قلبه هَذًّا ، ويسرُدها سرداً(٥) .

ما جرى بين بديع الزمان وأبى بكر الخوارزمى

ويطلعك على حقيقته ذلك ما جرى بينه وبين الأستاذ أبى بكر الخوارزمى(٦) من المناظرة يوم اجتماعهما فى دار السيد أبى القاسم المستوفى ، بمشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم من سائر الناس* .

---

(١) هو الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب وتكسب به لدى الملوك والأمراء وكان معجزة زمانه فى الحفظ وفيه يقول الثعالبى صاحب اليتيمة : إنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فنها . . . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطر ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه . . . ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) كذا فى جميع النسخ والصواب : الأربع والخمس الورقات .

(٤) يهذها : يسرع فى سردها وقراءتها . جميع النسخ : يهدها بالدال المهملة .

(٥) فى الذى ذكره من سرعة الحفظ كثير من الغرابة ربما لا يستساغ على أنه يصح شىء من ذلك على سبيل الشذوذ ، والذين درسوا علم النفس وقوى العقل يقولون إن هذا جائز وإن كان نادراً ويسمون الحوافظ التى من هذا النوع الحوافظ الصم يقصدون بذلك أنها مستعدة لأن تملأ بما ينقل إليها تشبيهاً لها بالخرائط الخالية التى يراد ملؤها بأسماء الأنهار والبلاد وغير ذلك وهى من الهبات التى يختص الله بها من يشاء من عباده . شأنها شأن الهبات فى كل ناحية من نواحى الحياة . وقد روى عن أبى العلاء المعرى كثير مما يثير الدهشة من قوة حافظته ورقة حسه .

(٦) لم نجد هذه المناظرة إلا فى نسخة الأصل وفى مطبوعة دمشق وقد تقدم التعريف ببديع الزمان أما أبو بكر الخوارزمى فهو محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس توفى سنة ٣٨٣ هـ وأشهر ما فى حياته الأدبية اتصاله بالصاحب بن عباد ومناظرته لبديع الزمان . واتصاله بالصاحب يفسر حملته على المتنبى جرياً على مذهب صاحبه .

* المناظرة الواردة هنا ملخصة بقلم المؤلف من نسختها التى أملاها بديع الزمان استجابة لرغبة السيد أبى القاسم من أشراف بغداد وهى ساقطة من النسخ التى بأيدينا ما عدا الأصل وقد رجعنا فى تصحيحها إلى نسختى الرسائل المطبوعة والمخطوطة بدار الكتب واقرأها فى رسائل بديع الزمان على هامش خزانة الأدب لابن حجة من ص ٢٩ وما بعدها . ولنا عليها تعليق تقرؤه بعد ، واقرأها أيضاً فى إرشاد الأريب لياقوت طبع دار المأمون حـ ٢ من ص ١٧٣ — ص ٢٠٠ .

قال البديع : وأول القصة أنا وطئنا خُراسان ، فما اخترنا إلا نيسابور[١] دارا ، وإلاّ جوار السادة جوارا ، وقديمًا كنا نسمع بهذا الفاضل ، ونقدّر أنا إذا وردنا بلده يخرج لنا فى العشرة عن القشرة[٢] ؛ فقد كانت لُحمة الأدب جمعتنا ، وكلمة الغُربة نظمتنا ، وقد قال الشاعر[٣] :

أجارتَنَـــا إنا غريبان ها هنـــا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

فأختلف ذلك الظنّ كلّ الإختلاف ، واختلف ذلك التقديرُ كلّ الاختلاف ، وقد كان اتفق علينا فى الطريق [من العرب][٤] اتفاق ، لم يوجبه استحقاق من بِزّة[٥] بزّوها ، وفِضّة فضّوها[٦] وذهب ذهبوا به ؛ ووردنا نيسابورَ براحة أنقى من الراحة[٧] ؛ و زىّ[٨] أوحش من طلعة المعلم ، فما حللنا إلاّ قصبةَ جواره . ولا وطئنا إلا عتبة داره بعد ما كتبنا له :

إنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) .

ومن الارتياح للقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر)[٩] .

ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب)[١٠] .

ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتز تحت البارح الغُصُن الرطب)[١١] .

فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتى[١٢] العراق وخراسان ،

---

(١) نيسابور : إحدى مدن خراسان .

(٢) يخرج فى العشرة عن القشرة : أى يطلعنا على حقيقة حاله ودخيلة نفسه بعد أن يأنس إلينا .

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى وقد قال هذا البيت فى رجوعه من عند قيصر .

(٤) زيادة من رسائل بديع الزمان التى اختصر منها المؤلف .

(٥) البزة : بالكسر الثياب والسلاح . بزوها : نزعوها وسلبوها .

(٦) فضوها : فرقوها .

(٧) براحة أنقى من الراحة : الراحة الأولى بمعنى جميع اليد ، والراحة الثانية بطن الكف . أى ورد نيسابور ويده خلو من كل شىء كما يخلو باطن الكف من الشعر .

(٨) الزى : بكسر أوله : الهيئة .

(٩) البيت لأبى صخر الهذلى وصدره : * وإنى لتعرونى لذكراك هزة *

(١٠) ومثله لأبى فراس :

وحاربت أهلى فى هواك وإنهم وإياى لولا حبك الماء والخمر

(١١) البيت لبشار ، وصدره : * وتأخذه عند المكارم هزة *

(١٢) قصبتى العراق وخراسان : بغداد ومرو .

بل عتبى الجبل[١] ونيسابو ر ؟ وكيف اهتزازه لضيف :

رثّ الشمائل مُنْهَجَ الأثواب بكرتْ عليه مُغيرة الأعراب[٢]

وهو أيده ، الله ولىّ إنعامه : بإنفاذ غلامه ، إلى مستقرى لأفضى إليه بما عندى .

قال البديع : فلما أخذتنا عينُه سقانا الدُّرْدى[٣] من أول دَنّه . وأجنانا سوءَ العشرة من باكورة فنّه . من طَرْف نظر بشَطْره ، وقيام دَفع فى صَدْره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخفّ بأمره ، فقاربناه إذ جانب ، وواصلناه إذ جاذب ، وشربناه على كدورته ، ولَبِسناه على خشونته ، ورَددْنا الأمر فى ذلك إلى زىّ استغثه ، ولباس استرثّه ، وكاتبناه نستمد وداده ، ونَستميل فؤادَه ، بقولنا : الأستاذ أزرى[٤] بضيفه إذ وجده يضربُ آباطَ القلّة فى أطمار[٥] الذّلة . فأعمل فى تربيته أنواع المصارفة[٦] ؛ وفى الاهتزاز[٧] له أصناف المضايقة ؛ من إيماء بنصف الطّرْف ، وإشارة بشَطْر الكفّ ، ودفع فى صدر القيام عن التمام ، ومَضغ الكلام ، وتكلف لردّ السلام ، وقد قبلت تربيته صَعرا ، واحتملته وزْرا ، واحتضنته نُكْرا وتأبطته شرا . ولم آلُهُ عذرا[٨] ؛ فإن المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفى هذه الأسمال[٩] ، أتقزّز[١٠] صفّ النعال .

---

(١) الجبل : إقليم جنوبى بحر قزوين .

(٢) أنهج الثوب : أبلاه . وفى ياقوت جـ ٢ ص ١٨٥ : رق فى موضع رث .

(٣) الدردى : عكر الزيت يرسب فى أسفل الوعاء ؛ وفى المثل : أول الدن دردى .

(٤) أزرى بضيفه : احتقره .

(٥) آباط القلة فى أطمار الذلة : آباط : جمع إبط . والقلة : المراد بها الفقر والفاقة . والأطمار : جمع طمر بكسر الطاء : الثوب الخلق البالى . والمعنى أنه وجده فقيراً غريباً رث الهيئة .

(٦) فى ياقوت : ترتيبه . والمصارفة : يراد بها صرفه بأى سبب لاحتقاره .

(٧) الاهتزاز له : الاحتفال به .

(٨) فى ياقوت : ترتيبه . والصعر : ميل الوجه والنظر عن الناس تهاوناً . الوزر : الإثم . النكر : المنكر . تأبط الشر : جعله تحت إبطه . لم آله عذرا : لم أقصر فى الاعتذار له .

(٩) الأسمال : جمع سمل كالأطمار وزناً ومعنى .

(١٠) فى الأصل : أتعرز . وفى نسختى الرسائل المطبوعة والمخطوطة : أتقزز صف النعال كما فى إرشاد الأريب جـ ٢ ص ١٨٦ .

فلو صدقتُه العتاب ، وناقشتُه الحساب لقلتُ إنّ بوادينا ثاغيةَ صَباح ، وراغية[١] رواح ، وناسًا يَجرّون المطارف ، ولا يمنعون المعارف :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُهُم وأندية ينتابها القولُ والفعل[٢]

ولو طَرَّحت بأبي بكر إليهم طوارحُ[٣] الغربة ، لوجد مَنال البِشْر قريبًا ، ومحطَّ الرحلِ رحيبًا ، ووجهَ لمُضيف[٤] خصيبا ، ورَأيُ الأستاذ أبي بكر في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود ، والمر الذي يتلوه شهد ، موفق إن شاء الله .

فأجاب :

وصلتْ رقعةُ سيدي ومولاي ، ورئيسي أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج[٥] ، وعرفتُ ما تضمنتْه من حسنِ خطابه ومؤلِم عتابه وصرفتُ ذلك منه إلى الضَّجر الذي لا يخلو منه من مسَّه عُسْر . ونَسَبًا به دهر . أما ما شكاه سيدي من[٦] مضايقتي إياه في القيام ، فقد وفيته حقه على قدر ما قدَرت عليه ، ووصلت إليه . فأما القوم الذين صدر عنهم فكما وصف ، ولقد جاورتهم فأحمدتُ المَراد ، ونلت المُراد[٧] .

---

(١) في الأصل وفي الرسائل المخطوطة : صياح . وفي الرسائل المطبوعة صباح وهو ما تقتضيه المطابقة . والثاغية : الغنم ونحوها . والثغاء : صوتها . والراغية : الإبل . والرغاء صوتها .
والمراد أن لنا بأرضنا أهلا لهم ثروة وجاه يمدوننا عند الاحتياج .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة أولها :
« صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو »
في مدح سنان بن أبي حارثة المري يمدحه هو وقومه بإشراق الوجوه والشهرة ، وأن لهم مجالس وأندية يتشاورون فيها في فهم الأمور ، ويشفعون القول بالعمل .

(٣) في نسختي الرسائل : ولو طوحت بأبي بكر أيده الله إليهم طوائح الغربة .

(٤) الأصل : ووجد المضيف . تحريف . وهو ينظر إلى قول القائل :
أضاحك ضيف قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

(٥) السكباج : لفظ فارسي معناه طبيخ يعمل من اللحم والخل والمرق . والمراد هنا : ألوان العتاب التي اشتمل عليها كتاب الخوارزمي للبديع .

(٦) كذا في الرسائل طبع الجوائب ص ١٦ ، وهي ساقطة من الأصل .

(٧) المراد الأولى بفتح الميم مصدر ميمي أو اسم مكان أو زمان من راد القوم يرود إذا تقدم أمامهم في طلب الماء ، والمراد الثانية بضم الميم : اسم مفعول من أراد .

فإن أكُ قد فارقتُ نجداً وأهلَه فما عهد نجد عندنا بذميم*

والله يعلمُ نيتى للناس كافة ، ولسيدى خاصة ، فإن أعانني على ما فى نفسى . بلغتُ إليه ما فى النية ، وجاوزتُ مسافة القدرة ، وإن قطع علىَّ طريق عشرتى بالمعارضة ، وسوء المؤاخذة ، صرفتُ عِنانى عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار :

فما النفسُ إلا نطفةٌ بقرارة إذا لم تُكدَّر كان صفواً معينها (١)

وبعد فحبذا عتاب سيدى إذا استوجبنا عَتبًا ، واقترفنا ذنبًا ، فأما أن يُسلِفنا العربدة ، فنحن نصونه عن ذلك ، ونصون أنفسنا عن احتماله .

قال البديع : فلما ورد الجواب عمَدنا لذكره فمحوناه(٢) عن صحيفتنا ، ومحوناه . وصرنا إلى اسمه فأخذناه ، ونبذناه ، وتركنا خطته ، وتجنّبنا(٣) خُلطته ، ومضى على ذلك الأسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت الليالى ، وتطاولت المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعير السماع ذكره ، ولا نودع الصدرَ حديثَه ، وجعل يستزيد ويستعيد بألفاظ تَقطعُها(٤) الأسماعُ من لسانه ، وتردُّها(٥) إلىَّ ، وكلمات تحفظُها الألسنةُ من فمِه (٦) وتعيدُها علىّ . فكاتبناه : أنا أرِد من الأستاذ شِرْعة وده وإن لم تصفُ ، وألبس خِلعة بره وإن لم تضْفُ ، وقُصارايَ أن أكيلَه صاعًا عن مُدّ ، وإن كنت فى الأدب دعىَّ النسب ، ضعيفَ السبب ، ضيق المضطَرب ، سيئ المنقلب .

---

* نص البيت كما جاء فى مقدمة نفح الطيب للمقرى :

فإن نك ودعنا الديار وأهلها فما عهد نجد عندنا بذميم

(١) النطفة : الماء الصافى . القرارة : محل الماء .

المعين : الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض ، والمراد أن النفس إذا بقيت بدون ما يكدرها كانت طيبة كثيرة البشر .

(٢) المحو : القشر ، والمعنى أنه محاه من صحيفته .

(٣) هكذا فى نسختى الرسائل ، وفى الأصل : « وكتبنا خطته » . تحريف .

(٤) تقطعها : تنقلها .

(٥) فى نسختى الرسائل : توردها إلى .

(٦) فى الرسائل المطبوعة : « وكلمات تخطفها الألسنة من فيه » ، وفى المخطوطة : « وكلام يخطفه الألسنة من فيه » .

سيدى ناقَشَنى فى الحساب القبول أولاً ، وصار فنى فى الإقبال ثانياً ؛ فأما حديثُ الاستقبالِ وأمرُ الإنزال فنِطاق الطمع ضيقٌ عنه ، غيرُ مُتسع لتوقعه منه ، وبعدُ فكُلْفة الفضل بينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، فلم اختار قَعودَ[١] التعالى مركباً ، وصَعُود التغالى مَذهباً[٢] ، وشوقى قد كدَّ الفؤاد بَرْحاً إلى بَرْح[٣] ، ونَكَأه قَرْحاً على قَرْح[٤] ، ولكنها مِرَّة مُرَّة[٥] . ونفسٌ حُرة ، وليس إلا غُصص الشوق نتجرعُها وحُلل الصبر نتدرَّعُها ، وأنا لو أعِرتُ جناحَ طائر لما طِرتُ إلا إليه ، ولا وقعتُ إلا عليه .

قال البديع : وبَقينا نقنعُ بالذكر وَصْلا حتى جعلتْ عواصفُه تَهُب ، وعقاربُه تَدِب ، وأفضت الحالُ إلى أنْ قال : لو أن بهذا البلد رجلاً تأخذه أريْحية الكرم يجمعُ بينى وبينه ؟ ، واتفق أن السيد أبا على نشِط للجمع بيننا ، فدعانى فأجبتُ ، ثم عرض علىّ حضورَه فطلبتُ ، فلما جاءنا تركناه على غُلَوائه[٦] حتى إذا نفض ما فى راسه وفرّغ جَعبة[٧] وَسواسه ، عطفنا عليه ، وقلنا : فلتهدأ ضلوعُك ، ولْيُفرخ رَوْعُك[٨] ولتسكن سَورتك[٩] . ولْتلِن فورتك[١٠] ، ولا ترقص لغير طرب . ولا تحمَ[١١] لغير سبب ، وقديماً كنت أسمع بحديثك ؛ فيعجبنى الالتقاء بك ، والاجتماع معك ، والآن إذ سهل الله ذلك ، فهلمَّ إلى الأدب ننفق يومنا عليه ، وإلى الجدل نتجاذب طرفيه ، ولنبدأ بالفن الذى ملكتَ به زمانَك ، وأخذت منه مكانك ، وطار به اسمك بعد وقوعه ، وارتفع له ذكرك عقب خضوعه . . .

فقال : وما هو[١٢] ؟ قلتُ الحفظُ إن شئتَ ، والنظم إن أردتَ ، والنثر إن اخترت ،

---

(١) القعود : البكر من الإبل ، وفى الكلام استعارة .
(٢) الصعود : بفتح الصاد المكان المنحدر يصعد فيه ، ضد الهبوط .
(٣) كد الفؤاد : أجهده . والبرح : الشدة ، والمعنى أن شوقى إليه برح به ، وزاده ألما .
(٤) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .
(٥) المرة الأولى بكسر الميم : أى القوة . والمرة الثانية بضم الميم من المرارة ضد الحلاوة .
(٦) الغلواء : الغلو ، وأول الشباب ، والمراد هنا : التكبر .
(٧) الجعبة : وعاء السهام . (٨) الروع : الخوف ، وإفراخه : ذهابه وسكون النفس .
(٩) الحدة . (١٠) حركة اضطرابه .
(١١) لا تحم : من حمى إذا غضب . (١٢) (هو) ساقطة من الأصل .

والبديهة إن نشطت ، فأحجم عن الحفظ رأسًا ، ولم يُجل فى النثر قِدْحا[١] ، وقال أُبادهك ، واقترح علينا أن نقول على وزن قافية أبى الطيب :

* أرق على أرق ومثلى يأرق [٢] *

وابتدر أبو بكر إلى الإجازة ، ولم يزل إلى الغايات سباقًا فقال :

وإذا ابتدهتُ بديهة يا سيدى ... فأراك عند بديهتى تتغلق[٣]
وإذا قرضتُ الشعر فى مَيدانه ... لا شك أنك يا أُخَىَّ تَشَقَّق[٤]
إنى إذا قلتُ البديهة قلتهـا ... عَجِلا وطبعُك عند طبعى يَرفُق[٥]
مالى أراك ولست مثلىَ عنـدها ... مُتموِّها بالتُرهات تُمخْرِق[٦]
إنى أُجيز على البديهة مثل مـا ... تريانه وإذا نطقتُ أصدّق
لو كنتَ من صخر أصمَّ لهاله ... منى البديهة واغتدى يتفلّق
أو كنتَ ليثا فى البديهة خادرًا ... لرئيتَ يا مسكين منّىَ تَفْرَق[٧]
وبديهـة قد قلتهـا متنفسًا ... فقل الذى قد قلتَ ياذا الأخرق

ثم وقف يعتذر ، ويقول : هذا كما يجىء لا كما يجب[٨] ، فقلتُ قبل الله عُذرَك فخذ الآن جزاء عن قَرْضك ، وأداء لفَرْضك . وقلتُ :

مهلا أبا بكر فزَنـدك أضيق ... فاخرَس فإن أخاك حى يرزق
دعنى أعرك إذا سكت سلامة ... فالقول يُنجد فى ذويك ويُعرق
ولفاتك فتكاتُ بيضِ سيوفكم ... فدع الستور وراءها لاتُخْرِق[٩]

---

(١) القدح : السهم وأجال القدح رمى به . (٢) تمامه : * وهوى يزيد وعبرة تترقرق *
(٣) تتغلق : أى يغلق عليك باب الكلام .
(٤) تشقق : المراد به تعجز عن اللحاق بى . (٥) يرفق : يلين ويضعف .
(٦) الترهات : جمع ترهة وهى الباطل . تمخرق : تضع الكذب .
(٧) كذا فى الرسائل ، وفى الأصل : لو كنت .
وخادرا : هكذا فى نسختى الرسائل ، والخادر المقيم فى أجمته مأخوذ من الخدر وفى الأصل : قادراً . وقد روى الشطر الثانى كما أثبتناه فى نسختى الرسائل . وفى الأصل : * لرؤيت يا مسكين دونى تبرق *
(٨) كذا فى نسخة الرسائل المطبوعة . وفى الأصل وفى مخطوطة الرسائل : لا كما يجب بالحاء المهملة ولا يخفى ما فى هذه الأبيات من التكلف والحشو والزحاف والقوافى الخشنة وقد اعترف ناظمها بأن هذا النظم لا طائل تحته بقوله : إنه كما يجىء لا كما يجب .
(٩) الفاتك : الجرىء الشجاع . خرق الستور : كناية عن الافتضاح .

وانظر لأشنع ما أقول وأدعى ... أله إلى أعراضكم مُتسلّق
يا أحمقاً ، وكفاك ذلك خِزْية ... جرَّبت نار معرتى هل تحرق ؟

فلما أصابه حَرُّ الكلام ، ومسه لفحُ هذا النظام ، قال : يا أحمقًا لا يجوز ، فإنه لا ينصرف ، وقطع علينا ؛ فقلنا : يا هذا لا تقطع ، فإن شعرك إن لم يكن عَيبة عيب ، فليس بظَرف ظَرف[1] ، وأما أحمق فلا يزال يصفعك وتصفعه ، حتى ينصرِف وتنصرف معه . وعرفناه أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرفُ إلى الصرف ، كما أن له رأيه فى القصر والحذف .

وقلنا : أخبرناعن بيتك الأول ، أمدحت أم قَدَحت ؟ وذكيت أم جرحت[2] ؟ ففيه شيئان متفاوتان ، ومعنيان متباينان ، بدأت فخاطبت بيا سيدى ، وعطفت فقلت تتغلق . وهما لا يركضان فى حَلْبة ، ولا يخطان فى خِطة[3] ؛ ثم قلت له : خذ وزنًا من الشعر حتى أسكت عليك ، فتستوفى من القول حظك ، واسكت علينا حتى نستوفىَ حظنا ، ثم إنى أحفظ عليك أنفاسك ، وأوافقك عليها ، واحفظ علىّ أنفاسى ووافقنى عليها ؛ فإن عجزتَ حفظتها لك . وأخذنا بيت المتنبى :

« أهلاً بدار سباك أغيدها[4] »

فقلت : يا نعمةً لا تزال تجحَدها ، ومِنةً لا تزال تكنِدها فقال : ما معنى تكنِدها ؟ فقلت : كند النعمة كفرها ، فرفع رأسه وقال : معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد ، فتلونا : (إن الإنسان لربه لكنود) . وقلت له : أليس الشرط أملك[5] ، والعهد بينى وبينك أن تسكت ونسكت ، كى تُتَم ونُتَم ، فنبذ الأدب وراء ظهره ، وصار إلى السَّخفَ يَكيلنا بصاعه ومُدّه[6] ، فقلت : يا هذا إن الأدب غير سوء الأدب . ولو كان فى باب الاستخفاف شىء أعظمُ من الاحتقار ،

---

(١) العيبة : وعاء من جلد . الظرف الأول : وعاء والثانى الكياسة .
(٢) ذكيت من التذكية وهى الذبح ، والغرض رميه بعدم إصابة ما أراد ، وفى نسخى الرسائل : زكيت بالزاى من التزكية بمعنى التعديل ضد التجريح وهذا يقتضى تشديد الراء فى جرحت .
(٣) الخطة : بكسر الخاء الأرض التى يعلم عليها بالخط تتخذ للبناء ونحوه .
(٤) تمامه : « أبعد ما بان عنك خردها »
(٥) مثل يضرب فى حفظ الشرط مع الإخوان .
(٦) الصاع والمد كيلان ، والغرض أنه يسرف فى سوء المعاملة .

وإنكار أبلغ من ترك الإنكار ، لبلغته منك . فأخذ يمضى على غلوائه ، ويمعن فى هُرَائه وهُذائه[١] وقلت : أستغفر الله من مقالتك ، وسكت حتى عرف الناس أنى أملك من نفسى ما لا يملكه ، وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه ، ثم عطفت عليه فقلت : يا أبا بكر إن الحاضرين قد أعجبوا[٢] من حلمى بأضعاف ما أعجبوا من علمى[٢] . وتعجبوا من عقلى أكثر مما تعجبوا من فضلى وبقى الآن أن يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عىّ وأن تكلفى للسَّفه أشد استمراراً من طبعك[٣] ، وغَرَبى فى السخف أمتن عوداً من نَبعك[٤] ، فقال : أنا قد كسبت بهذا العقل دِية[٥] أهل هَمَذان مع قِلته ، فما الذى أفدت أنت بعقلك مع غزارته ؟ فقلت : هذا الذى به تتمدح من أنك شحذت فأخذت ، فهذا عندنا صفة ذم ، وقد صدقت . أنت بهذه الحَلْبَة[٦] أسبق ، وفى هذه الحرْفة أعرق ، وأنا قريب العهد بهذه الصنعة ، حديث الورد لهذه الشرعة ، وما أضيع وقتاً قطعته بذكرك ، ولساناً دنَّسته باسمك ، وملت إلى القوّال[٧] ، فقلت : أسمعنا خيراً ، فغنى أبياتاً منها :

وشَبَّهنا بَنفْسَجَ عارِضيْه بقايا اللطم فى الخد الرقيقِ

فقال أبو بكر : أحسن ما فى الأمر أنى أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها . فقلت : إن أنشدتكها ساءك مسموعُها ، ولم يسرَّك مصنوعُها ، فقال : أنشد ، فقلت : روايتى تخالف هذه الرواية ، وأنشدت :

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشْم فى الخد الصفيق

---

(١) الهراء : الهزء والسخرية . الهذاء : التكلم بما لا يعقل لمرض ونحوه وهو الهذيان .

(٢) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : عجبوا بدل أعجبوا .

(٣) معنى الجملة أننى أستطيع أن أزيد عليك فى السفه مع تكلفى له وانطباعك عليه .

(٤) النبع : شجر صلب العود ينبت فى قلل الجبال تتخذ منه القسى والسهام . والغرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار قال المتنبى يمدح لسيف الدولة :

فلا تنسلك الليالى إن أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ومعنى هذه الجملة كمعنى السابقة .

(٥) المراد بالدية جوائز أهل همذان وفيه استعارة رشح لها بلفظ العقل .

(٦) كذا فى نسخة الرسائل المطبوعة . وفى المخطوطة الحبلة وفى الأصل : الجبلة وكلاهما محرف .

(٧) القوال : المغنى .

فأتته السكتة ، وأضجرته النكتة[١] ؛ وانطفأت تلك الوَقْدة ، وانحلت تلك العُقدة ، ودُفع[٢] القوال فبدأ بأبيات ، ولحَّن بأصوات ، وجعل النعاس يَثْنى الرءوس ، ويمنع الجلوس ، فقمنا إلى ما وُطِّئ من مضجَع ، ومُهِّد من مَهْجع ، ولم يكن النوم ملأ العيون ، ولا شَغَلَ الجفون ، حتى أقبل وفد الصباح ، وحيعل المؤذنُ بالفلاح ، ونَدَب إلى النهوض بالمفروض ، فلما قضينا الفرض ، فارقْنا الأرض ، وظنى أن هذا الفاضل يأكل يده ندماً ، ويبكى على ما جرى دمعًا ودمًا ، وأنه إذا نام هاله منا طيف ، وإذا انتبه راعه منا سيف[٣] ، وسعَوا بيننا بالصلح ، وعرفنا له فضل السنّ ، فقصدناه معتذرين إليه ، فأومأ إيماءة مَهِيضة[٤] ، واهتز اهتزازة مَغيضة[٥] ؛ وأشار إشارة مريضة ، بكف سحبها على الهواء سحبًا ، وبسطها فى الجو بسطًا ، وعلمنا أن للمقهور أن يستخفّ ويستهين ، وللقاهر أن يحتمل ويلين ، فقلنا : إن بعد الكَدَر صفواً ، كما أن عقب المطر صحواً ، وعرض علينا الإقامة سحابة ذلك اليوم ، فاعتللنا بالصوم ، فلم يقبل العذر وألحّ ، فقلت : أنا وذاك[٦] ، فطعمنا عنده ، وخرجنا والنية على الجميل موفورة ، وبقعة الود معمورة ، وصرنا لا نتعلل إلا بمدحه ، ولا نتنقل إلا بذكره[٧] ، ولا نعتد إلا بوده ، لا . بل ملأنا البلد شكراً ، والأسماع نشراً ، وبينا نحن من الحال فى أعذبها شِرعة ، ومن المقة فى أطيبها جرعة ، ومن المودة فى أعزها بقعة ، وأوسعها رقعة ، حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته ، ومؤديان رسالته ، ذاكران أن أبا بكر يقول قد تواترت الأخبار ، وتظاهرت الآثار ، فى أنك قَهرتَ ، وأنى قُهرتُ ،

---

(١) وجه النكتة : أن الخوارزمى كان موثم الوجنة . كذا فى هامش الأصل .

(٢) دفع القوال طلب منه أن يغنى .

(٣) يشير بهاتين الفقرتين إلى قول أشجع السلمى فى الرشيد :

وعلى عـدوك يابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبـه رعته وإذا غفـا سلت عليه سيوفك الأحلام

(٤) مهيضة : من الهيض وهو الكسر يقال هاض العظم هيضاً وإسنادها إلى الإيماء مجاز كعيشة راضية .

(٥) مغيضة : ناقصة من غاض الماء إذا نقص أى احتفل به احتفالة ناقصة .

(٦) فى نسخى الرسائل : أنت وذاك . وهو أحسن .

(٧) نتعلل : نشرب العلل وهو الشرب الثانى ومعنى لا نتعلل إلا بذكره : أننا إن أردنا التمتع بحديث ذكرناه مرة وثانية ، ونتنقل من النقل وهو مايؤكل على الخمر من فستق ونحوه والمعنى شبيه بما سبق .

ولا شك أن ذلك التواتر عنك صَدَرت أوائله ، والخبرُ إذا تواتر به النقل ، قبله العقل ، ولا بد أن نجتمع فى مجلس بعض الرؤساء ، فنتناظر بمشهد الخاصة والعامة ، فإنك متى لم تفعل ذلك لم آمَن عليك تلامذتى ، أو تُقِرَّ بعجزك وقصورك عن بلوغك أمدى . ومَنالَ يدى ، فقلت : هذا التواترُ ثمرةُ ذلك التناظر ، مع ذلك التساتر ، فإن ساءك فأحْرِ أن يسوءَك عند مجتمع الناس ، ومحتفَل أولى الفضل ، ولأن تترك الأمرَ مختلَفًا فيه خير لك من أن يُتفق عليه ، وإن أحببتَ أن تُطير هذا الواقع ، وتهيج هذا الساكن ، فرأيك موفق * .

ثم مضت على ذلك أيام ، ونحن منتظرون لفاضل يَنشَط لهذا الفصل ، وينظر بيننا بالعدل ، فاتفقت[1] الآراء على أن يُعقد هذا المجلسُ فى دار أبى القاسم الوزير ، واستُدْعيت ، فسرَّحت الطرف من ذلك السيد فى عالَم أفرغ فى عالِم[2] ، أو مَلَك فى درع مَلِك ، ونطق فودت الأعضاء لو أنها أسماع مُصغية ، واستمع فودت الجوارح لو أنها ألسنة ناطقة ، وكنتُ أول من حضر ، وطلع الإمام أبو الطيب[3] وهو بنفسه أمة ، ووحده عالَم . ثم حضر السيد أبو الحسين ، وهو ابن الرسالة والإمامة ، وعامر أرض الوحى ، والمُحتَبى بفِناء النبوة ، وحضر بعد ذلك أبو عمر البِسْطامى ، وناهيك به من حاكم يفصل ، وناظر يعدل ، ثم حضر القاضى أبو نصر ، والأدب أدنى فضائله ، وأيسر فواضله ، وحضر الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك ، وهو الرجل الذى تحميه لألاؤه ، ولَوْذَعيَّته من أن يُذال[4] بمن ؟ أو ممن الرجل ؟ وحضر أبو القاسم بن حبيب ، والفقيه أبو الهيثم ، ورائد الفضل يقدُمهما ، وقائد العقل يخدمهما ، وحضر الشيخ أبو نصر المرزُبان ، والفضل منه بدأ وإليه يعود ، وحضر بعده أصحاب الإمام أبى الطيب وأصحاب الأستاذ أبى الحسن الماسَرْجِسى[5] ، وأصحاب الأستاذ أبى عمر

---

* فى نسختى الرسائل : فرأيك موفقاً . وله وجه .

(١) فى الأصل : فاتفق وهو صحيح .

(٢) ينظر فى هذا إلى قول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(٣) اسمه سهل الصعلوكى ويدل سياق الحديث على أنه من أفاضل وقته .

(٤) يذال : يهان بالسؤال عنه وعن قبيلته .

(٥) نسبة إلى مارسرجس موضع ببلاد العجم كما فى تاج العروس .

البسطامى ، وهم فى الفضل كأسنان المشط ، ومنه بأعلى مَناط العِقْد ، وحضر الشيخ أبو سعيد الهَمذانى ، وله فى الفضل قِدْحه المُعَلَّى ، وفى الأدب حظه الأعلى ، ثم حضر أصحاب الأسبلة المُسْبَلة[١] ، والأسْوكة[٢] المُرْسلَة ، رجال يلعن بعضهُم بعضًا ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقالوا : أصحاب الخُوارَزمىّ .

فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضر ، وانتُظِر أبو بكر فتأخر ، اقترحوا على قوافىَ أثبتوها ، واقتراحات كانوا بيتوها ، فما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار : من لفظ إلى المعنى نسقته ، وبيت إلى القافية سقته . على ريق لم أبلعه ، ونفَس لم أقطعه . وقال الإمام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافى . ونُعين المعانى ، وننص على بحر ، فإن قلت على الروى الذى أسومه ، وذكرت المعنى الذى أرومه ، فأنت حىّ القلب كما عهدناك ، شجاع الطبع كما وجدناك ، فما خرجت من عُهدة هذا التكليف ، حتى ارتفعت الأصوات بالهيللة[٣] من جانب ، والحوقلة[٤] من آخر . وتعجبوا إذ أرتهم الأيام ما لم تُرهم الأحلام . وجادهم العيان بما بَخل[٥] به السماع ، وانجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم ، ثم التفتُّ فوجدتُ الأعناق تلتفت وما شعرت إلا بهذا الفاضل ، وقد طلع فى شَملته[٦] ، وهبَّ بجملته ، ومشى إلى فوق أعناق الناس يريد الصدر ، فقلت : يا أبا بكر تزحزح عن الصدر ، فقال لستَ برب الدار ، فتأمرَ على الزُّوَّار[٧] ، فقلت : حضرتَ لتناظرنى ، والمناظرة اشتقت إما من النظر ، وإما من النظير ، ومن حسن النظر أن يكون مقعدُنا واحداً ، حتى يتبينَ الفاضل من المفضول ، ثم يتطاولَ السابق ، ويتقاصر المسبوق ، فقضت الجماعة بما قضيتُ .

ثم قلت : فى أى علم تريد أن نتناظر ؟ فأشار إلى النحو ، فقلت : إن شئت

---

(١) الأسبلة : جمع سبال والسبال جمع سبلة وهى ما على الذقن والشاربين من الشعر . المسبلة : المرسلة والمراد أصحاب اللحى والشوارب الطويلة .

(٢) الأسوكة : جمع سواك .

(٣) الهيللة : حكاية لا إله إلا الله يقال هلل وهيلل إذا حكى ذلك اللفظ الشريف .

(٤) الحوقلة : حكاية لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) الشملة : كساء يشتمل به .

(٧) فتأمر على الزوار : تسيطر عليهم .

أن أناظرك فيه فسلم ما كنت تدعيه ؛ من سرعة فى البديهة ، وجودة فى الرويّة ، وقدرة على الحفظ ، ونفاذ فى الترسل ، فقال : لا أسلم ذلك ، ولا أناظر فى غير هذا ، وارتفعت المضاجّة ، واستمرت الملاجّة ، حتى قال له الأستاذ أبو عمر : أنت أديب خراسان ، وبهذه الأبواب التى قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق ، وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يُوهِم ، واضطره إلى منازلة أو نزول عنها . فقال : سلّمتُ الحفظ ، فقلت : خفف الله عنك كما خففتَ عنا فى الحفظ ، فلو سلمت البديهة مع الترسل ، حتى نفرغ للنحو والأمثال واللغة والعروض والأشعار فقال : ما كنت لأسلم الترسل ، ولا سلّمت الحفظ . فقلت : الراجع فى فَيْئه[1] كالراجع فى قَيْئه ؛ لكنا نُقيلك عن ذلك السماح .

أنشدنا خمسين بيتًا من قِبَلك مرتين ، حتى أنشدك عشرين بيتًا من قبلى عشرين مرة ، فعلِم أن من دون ذلكَ خَرْط القَتاد[2] ، فسلمه ثانيًا ، كما سلمه باديًا . وصِرنا إلى البديهة ، فقال أحد الحاضرين هاتوا على شعر أبى الشِّيص[3] فى قوله :

أبقى الزمانُ به نُدوب عِضاضِ ... ورَمَى سوادَ قُرونه ببياض[4]

فبدأ أبو بكر مقدّراً أنا نَغفُل عن أنفاسه ، أو نُولِيه جانب وَسْواسه ، ولم يعلم أنا نحفظ عليه الكلم ، فقال :

يا قاضيًا ما مثلُه من قاض ... أنا بالذى تقضى علينا راضِ
فلقد لَبِست ضَفِيَّةً ملمومةً ... من نسج ذاك البارق الفَضْفاض
لا تغضبنّ إذا نظمتُ تنفسًا ... إن الغضى فى مثل ذاك تغاضِ
فلقد بُليتُ بشاعر متقادِر ... ولقد بليت بناب ذيب غاض

---

(١) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : فى شيئه وهو كالمثل لكل من رجع فى شىء أعطاه .

(٢) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبرة . وخرطه : إمرار اليد عليه لانتزاعه وهو مثل يضرب لكل ما يكون فى إتيانه صعوبة .

(٣) هو محمد بن رزين عم دعبل الخزاعى من شعراء الدولة العباسية .

(٤) الندوب : جمع ندب وهو أثر الجرح بعد برئه . العضاض : العض والمراد به شدة العيش على المجاز .

ولقد قرضت الشعر فاسمع واستمع لنشيد شعر طائعاً وقِراض
فلأغلبنّ بديهةً ببديهتى ولأرمينّ سوادَه ببياض

فقلت ما معنى ضفية ملمومة ؟ وما الذى أردت بالبارق الفضفاض ؟ فأنكر أن يكون قاله قافية . فقالوا له : قد قلتَ . ثم قلتُ ما معنى قولك ذيب غاض ؟ فقال هو الذى يأكل الغضى[1] قلت : استنوق الجمل[2] ، وصار الذئب جملا يأكل الغضى . فما معنى أن الغضى فى مثل ذاك تغاض ، فإن الغضى لا أعرفه بمعنى الإغضاء فقال لم أقل الغضى ، وأنكر البيت جملة فقلت : ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك ، وتتبرأ منه وهو يلحق بك . فمامعنى قراض فلم أسمعه مصدراً من قرضت الشعر . ثم دخل الرئيس أبو جعفر ، والقاضى أبو بكر ، والشيخ أبو زكريا الحيرىّ ، وطبقة من الأفاضل وأخذ الرئيس مكانه من الصدر ، وقال : قد ادعيت عليه أبياتاً أنكرها فدعونى من البديهة على النَّفس واكتبوا ما تقولون فقلت :

برز الربيعُ لنا بَرَوْنق مائه فانظر لِروعة أرضه وسمائه
فالتربُ بين مُمَسَّك ومُعَنْبر من نَوْره بل مائه ورُوائه[3]
والماء بين مُصَنْدل ومُكفّر فى حُسْن كُدرته ولون صفائه[4]
والطيرُ مثل المُحْصَنات صوادحٌ مثلُ المغنى شادياً بغنائه[5]
والوردُ ليس بمُمْسِك رَيّاه بل يُهدى لنا نَفَحاته من مائه[6]
زمنَ الربيع جلَبْتَ أزكى متْجرٍ وجلوت للرائين خيرَ جِلائه

---

(١) الغضى : شجر ناره قوية يقول الشاعر :

فسقى الغضى والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانحى وضلوعى

(٢) مثل يضرب للرجل يكون فى حديث ثم يخلطه بغيره وينتقل إليه بلا مناسبة .

(٣) الممسك : المطيب بالمسك : المعنبر : المطيب بالعنبر . النور : الزهر . الرواء : الحسن

(٤) مصندل : مشبه بالصندل وملون بلونه وهو خشب أحمر أو أبيض لكن المراد به هنا ما كان قليل الحمرة لوصفه بالكدرة . المكفر : المشبه والملون بلون الكافور فى بياضه .

(٥) المحصنات : جمع محصنة وهى العفيفة وقد شبه الطير بالمحصنات فى الخدور ثم بالمغنى فى ترجيع الصوت يريد أنه إذا جاء الربيع كانت شوادى الأطيار تحت ورق الأشجار فيكن كأنهن المخدرات تحت الأستار . الأصل : مثل المغنى شادياً بغنائه . تحريف .

(٦) فى نسختى الرسائل : إذ . مكان بل .

فكأنه هـــذا الرئيس إذا بـــدا ... فى خَلْقه وصفاته وعطائه[١]
ما البحرُ فى تزخاره والغيث فى ... إمطـــاره والجو فى أنوائه[٢]
بأجلّ منـــه رغائباً ومواهبـــاً ... لا زال هذا المجد حِلف قَبائه[٣]
والسادة الباقون سادةُ عصرهم ... متمدِّحـــون بمدحـــه وثنائه

وقال أبو بكر تسعة أبيات رددتها عليه ، وقلت لمن حضر أرأيتم لو أن رجلاً حلف بالطلاق لا يُنشد شعراً قط وأنشد هذه الأبيات فقط ، هل تَطلُق امرأته ؟ فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق . ثم قلت انقُدْ علىّ كما نقدت ، واحكم عليه[٤] كما حكمت . فانتقد ما انتقد ، وكفتنى الجماعة جوابه . وقالوا : قد علمنا أىُّ الرجلين أشعر ؟ وأى الخصمين أقدر .

ثم ملنا إلى الترسل فقلت : اقترح على غاية ما فى طَوْقك ، ونهاية ما فى وُسْعك ، حتى أقترح عليك أربع مئة صنف فى الترسل ، فإن سرتَ فيها برجلين ، ولم أطرْ بجناحين ، فلك يدُ السبق ، ومثال ذلك أن أقول لك : اكتب كتاباً يقرأ منه جوابه هل يمكنك أن تكتب ؟ أو أقول لك اكتب كتاباً فى المعنى الذى أقول ، وأنص عليه ، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ، ولا تغافل حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله ، وانتظمتْ معانيه إذا قُرئ من أسفله ، هل كنت تُفوّق[٥] لهذا الغرض سهماً ، أو تُجيل قِدْحاً[٦] ، أو تصيب نُجحاً ؟ أو قلتُ لك اكتبْ كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً ؛ وإذا عكستْ سطورُه مُخالَفة كان جوابا ؛ أو قلتُ لك اكتب كتاباً فى المعنى الذى يُقترح لا يوجد فيه حرف منفصل . من راء تتقدم الكلمة[٧] بديهة ، هل

(١) الأصل : الربيع مكان الرئيس ولا معنى لها .
(٢) التزخار : مصدر زخر بمعنى طما وارتفع . الأنواء : النجوم . وأراد بالغيث السحاب .
(٣) القباء : الثوب . فى نسختى الرسائل : فنائه .
(٤) احكم عليه : الضمير يعود إلى الشعر .
(٥) تفويق السهم : تصويبه إلى جهة الحدف .
(٦) القدح : بكسر القاف أحد سهام الميسر وإجالته خلطه فى جملة السهام قبل استخراجه والمراد المشاركة .
(٧) فى نسختى الرسائل : « فى المعنى الذى يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة أو دال ينفصل عن الكلمة » والمراد أن يكون ما يأتى به متصل الحروف لا يكون فيه راء أولى ولا دال أخيرة فى الكلمة ولا نحوهما .

كنت تفعل ؟ أو قلتُ لك اكتبْ كتابًا خاليًا من الألف واللام هل كنت تقف من ذلك موقفًا محموداً ؟ أو قلت لك اكتب كتابًا يخلو من الحروف العواطل[١] ، هل كنت تَحظى منه بطائل ؟ أو تَبلُّ لَهاتَك بناطل[٢] ؟ أو قلت لك اكتب كتابًا أوائل سطوره كلها ميمٌ وآخرها جيم ، على المعنى الذى يقترح هل كنت تغلو فى قوسه غَلْوة[٣] ؟ أو تخطو فى أرضه خَطوة ؟ أو قلت لك : اكتب كتابًا إذا قرئ مُعرَّجًا وسُرد مُعوَّجا كان شعراً هل كنت تُقطِّع فى ذلك شعراً[٤] ؟ بلى والله تصيب ولكن من بدنك . وتقطع ولكن من ذَقَنِك . أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فُسرّ على وجه كان مدحاً ، وإذا فسر على وجه آخر كان قَدْحًا ، هل كنت تخرج عن هذه العُهدة[٥] ؟ أو أقول لك : اكتب كتابًا تكون حفِظته من قبل أن لحظتَه ، هل كنت تثق من نفسك به إلى ما أطاولك بعد[٦] ؟ لا . بل « استُ البائن أعلم[٧] . . »

فقال أبو بكر هذه الأبواب شَعْبذة[٨] . فقلت : وهذا القول طَرمذة[٩] . فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها ، وأكاثرك بمخزونها ، وأشْبُرُ[١٠] قلمَك ، وأسْبُرُ[١١] فيها لسانك وقلمَك ؟ فقال الكتابة

---

(١) العواطل : الحروف الخالية من النقط .

(٢) الناطل : الجرعة من الماء واللبن والنبيذ والفضلة تبقى فى المكيال . وفى هامش الرسائل المخطوطة : الناطل كوز يكال به الخمر .

(٣) الغلوة : مسافة رمى السهم . غلا الرامى بالسهم : رفع يديه لأقصى الغاية .

(٤) يريد بتقطيع الشعر نظمه وقرضه .

(٥) العهدة : ما يتعهد به إنسان ، وخروجه عنه : وفاؤه به .

(٦) فى نسختى الرسائل : إلى ما لا أطاولك بعده ، ومعنى المطاولة المد فى الأجل وإطالة الفرصة ليستطيع الإتيان بما يقترح عليه .

(٧) هذا مثل يضرب لمن كان أدرى بالشىء . البائن : الذى يحلب الناقة من جهة شمالها وهو أحد اثنين يشتركان فى حلبها . راجع جمهرة الأمثال لأبى هلال على هامش الميدانى ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٨) الشعبذة : الشعوذة وهى خفة فى اليد وعمل كالسحر يرى الشىء بغير ما هو عليه .

(٩) الطرمذة : فعل المطرمذ وهو الذى يقول ولا فعل عنده أو لا يحقق فى الأمور وطرمذ عليه فخر وتكبر .

(١٠) الشبر : قياس الشىء بالشبر .

(١١) السبر : امتحان غور الجرح وغيره .

التى يتعاطاها أهل الزمان المتعارفة بين الناس . فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة سوى هذه الطريقة الساذَجة . وهذا النوع الواحد المتداوَل بكل قلم ، المتناوَل بكل لسان وفم ، ولا تحسن هذه الشعبذة ؟ فقال : نعم . فقلت : هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبْل . وأناضِلك بهذا النَّبْل ، ثم تقاس ألفاظى بألفاظك ، ويُعارض إنشائى بإنشائك . واقْتُرِح كتاب[1] يكتب فى النقود وفسادها ، والتجارات ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها . والأسعار وغلائها . فكتب أبو بكر : الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ، بهما يتوصل إلى جنات النعيم ويُخلد فى نار الجحيم ، قال الله تبارك وتعالى : (خذ من أموالهم صدقة تُطهرهم وتُزكّيهم بها وصَل عليهم) . وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشدّ الإكبار . وأنكرناه أعظم الإنكار ؛ لما نراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد . وتَعرَّفنا فى ذلك ما يُربح للناس فى الزرع والضرع . ويعود[2] إليه أمر الضَّر والنفع . . . إلى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت : إن الإكبار والإنكار والعباد والبلاد وجنات النعم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد ثبتت فى المِعَد[3] ، ولم تزل فى اليد . وقد كتبت وكتبت . ولا أطالبك بمثل ما أنشأت ، وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة ، وبُهِتَ وبُهتت الكافّة ، وقالوا لى اقرأه فجعلت أقرؤه واسرُده معكوساً . وكان ما أنشأناه :

الله شاء إنْ المحاضِر صدور بها ، وتملأ المنابر ظهورها ، وتفرع الدفاتر وجوه بها ، وتمشق المحابر بطون لها ترشق آثاراً كانت فيه آمالنا مُقتضى على أياديه فى تأييده الله أدام الأمير جرى فإذا المسلمين ظهور عن الثقْل هذا ويَرفَع الدين أهل عن الكَل هذا يحطّ أنْ فى إليه نتضرعُ ونحن واقفة والتجارات زائفة ، والنقود صيارفة ؛ أجمعَ الناسُ صار فقدْ كريما نظراً لِينظُر شِيَمِه مَصَابَ وانتجعْنا كرمِه بارقةَ وشِمْنا هِمَمِه على آمالِنا رقابَ ، وعلّقْنا أحوالِنا وُجوهَ لَهُ ،

---

(١) كذا فى نسختى الرسائل . وفى الأصل « واقترح كتابا » ولا يدرى من المقترح .

(٢) كذا فى نسختى الرسائل . وفى الأصل : « ويقدم من » ولا معنى له .

(٣) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : « نبتت فى المعد » والمعد جمع معدة وهى محل الطعام والشراب من الإنسان ومعنى نباتها فيها حصولها بلا عمل وهى كالطعام والشراب كل أحد ينطق بها فهى متداولة بكل لسان ، ومتناولة بكل قلم فليس لمن يأتى بها كبير فضل (عن شرح الأحدب للرسائل ص ٧٦ ، ٧٨) .

وكشفْنا آمالَنا وفودَ إليه بعثْنا فقد نظره بجميلِ يتداركَنا أنْ ونعماه تأييدَه وأدام بقاه الله أطالَ الجليلُ الأميرُ رأى إنْ[١] .

وصلى الله على محمد وآله الأخيار .

فلما فرغتُ من قراءتها انقطع ظهر أحد الخَصمين[٢] ، فملنا إلى اللغة ، فقلت : خذ غريب المصنَّف إن شئت وإصلاح المنطق إن أردت ، وألفاظ ابن السكِّيت إن نَشِطت ، ومجملَ اللغة إن اخترت ، وأدبَ الكُتَّاب[٣] إن أردت ، واقترح علىَّ أى باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقداً[٤] ، وأسردَه سرداً ، فقال اقرأ من غريب المصنف فقرأت الباب الذى أراده ولم أتردد فيه ، وأتيت على الباب الذى يليه . ثم قلت اقترح غيره ، فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من فصيح الكلام . فوقف حماره ، وخمدت نارُه[٥] . وقال الناس اللغة مُسلَّمةٌ لك أيضًا ، فهاتوا غيره . فقلتُ يا أبا بكر هات العروض ؛ فهو أحد أبواب الأدب ، وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعِلَلها وزِحافها فقلت : هات الآن فاسرُدْه كما سردت . وضجِر الناس وتقوّض المجلس .

هذا ملخص ما جرى بينهما[٦] .

* * *

---

(١) هذه الرسالة تقرأ معكوسة من آخرها إلى أولها فتستقيم أما إذا قرئت من أولها وعلى صورتها هذه فإنها لا تستقيم ، وقد تقدم أن البديع كان فى مقدوره أن ينشئ الرسالة تقترح عليه على هذه الصورة .

(٢) يريد به الخوارزمى .

(٣) كذا فى الأصل . وفى نسختى الرسائل : « أدب الكاتب » وهو أشهر .

(٤) نقداً : أى أنقده لك نقداً وأعد ألفاظه بدون تردد كما تعد النقود .

(٥) وقف حماره : كناية عن دهشته وحيرته مما رآه وعدم قدرته على الجواب . خمدت ناره : انطفأت . والمراد أنه سكن ما عنده وتلاشى .

(٦) خلت نسخ الصبح المخطوطة التى بأيدينا من هذه المناظرة إلا النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية رقم ٢٠٤٦ ، وتاريخ كتابتها سنة ١٠٥٤ أى فى حياة المؤلف ، وهذا يدل على أن المؤلف قصد إلى وضع هذه المناظرة فى تأليفه ، ولعل خلو النسخ الأخرى منها راجع إلى أن المؤلف قد أثبتها فى مسودته ، ثم عرض له أن يحذفها عند التبييض ، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك .

ثم إن المؤلف لم يذكر هذه المناظرة بنصها الكامل الذى ورد فى نسختى الرسائل المطبوعة والمخطوطة وإنما أعمل فيها قلمه اختصاراً وتلخيصاً ، فذهب ذلك بشىء من رونقها ، واتساق فكرتها ، على أن الاعتماد على هذه المناظرة فى الموازنة بين الكاتبين فيه إجحاف بالخوارزمى لأنها من رواية أحد الخصمين (البديع) ، =

قدوم المتنبي اللاذقية

قال أبو عبد الله مُعاذ بن إسماعيل اللاذقى[١] : قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية[٢] فى سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذّر[٣] وله وَفْرة إلى شحمتى أذنيه[٤] فأكرمتُه وعظمته لما رأيته من فصاحته وحسن سَمْته[٥] . فلما تمكن الأنس بينى وبينه ، وخلوت معه فى المنزل اغتنامًا لمشاهدته ، واقتباسًا من أدبه ، قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير .

ادعاؤه النبوة

فقال : ويحك أتدرى ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ! فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قطّ منذ عرفته ، فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل . فقلت له : مرسل إلى من ؟ فقال : إلى هذه الأمة الضالة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : املأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً . قلت : بماذا ؟ قال بإدرار الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضربِ الرقاب لمن عصا وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف [منه عليك][٦] وعذلته على ذلك فقال بديهة :

أبا عبـــد الإله معاذُ إنى ... خفىّ عنك فى الهيجا مُقامى
ذكرتَ جسيم ما طلبى وأنّا ... نخاطـــر فيه بالمُهج الجسام[٧]
أمثـــلى تأخذُ النكباتُ منـــه ... ويجـــزع من مُلاقاة الحمام
ولو برز الزمانُ إلىّ شخصًا ... لَخضَّب شعر مَفْرِقه حُسامى

=ولما تدل عليه هذه الرواية من ميل شهودها إلى البديع فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان من شيخوخة الخوارزمى وشباب البديع لم يبق للتعويل على هذه المناظرة محل .

(١) لم نعثر له على ترجمة ولكنا رأينا المتنبي يقول فيه :

معـــاذ مـــلاذ لزواره ... ولا جـــار أكرم من جاره
كأن الحطيم على بابه ... وزمزم والبيت فى داره
وكم من حريق رأت داره ... فلم يعمـــل الماء فى ناره

ويظهر من مدح المتنبي إياه أنه أحد كرام ممدوحيه .

(٢) اللاذقية : بلد من أعمال حلب إذ ذاك .

(٣) كذا فى جميع النسخ وقد محيت الكاف وبقى أثرها فى (ه) والمراد أنه ما كاد ينبت عذاره . والعذار : الشعر النابت على جانبى اللحية .

(٤) الوفرة : ما سال من الشعر على الأذنين . شحمة الأذن : مكان تعليق القرط .

(٥) سمته : هيئته .

(٦) كذا فى جميع النسخ ما عدا (ا) وفيها : أخاف منك عليه تحريف .

(٧) جسيم ما طلبى : ما زائدة بين المضاف والمضاف إليه .

وما بلغت مَشِيَّتَهـا الليالى ولا سارتْ وفى يدهـا زِمامى[1]
إذا امتلأت عيونُ الخيل منى فويلٌ فى التيقظ والمنـام

ادعاؤه المعجزة ب

فقلت: ذكرت أنك مُرسل[2] إلى هذه الأمة أفيُوحَى إليك ؟ قال: نعم. قلت : فاتلُ علىّ شيئًا مما أوحِى إليك، فأتانى بكلام ما مر بسمعى أحسنُ منه، فقلت: وكم أوحى إليك من هذا ؟ فقال : مئة عِبْرة وأربعَ عشْرةَ عِبرة قلتُ : وكم العِبرة ؟ فأتى بمقدار أكبر الآى من كتاب الله[3] تعالى . قلت : فى كم مدة أوحى إليك ؟ قال : جملة واحدة . قلت أسمع فى هذه العِبرات أن لك طاعةً فى السماء ، فما هى ؟ قال : أحبس المِدرارَ لقطع أرزاق العصاة والفُجار، قلت: أتحبس فى السماء مَطَرَها ؟ قال : إى والذى فَطَرَها ! أمَا هى معجزة ؟ قلت: بلى والله ! قال فإن حبستُ المطر عن مكان تنظر إليه ولا تشكّ فيه ، هل تؤمن بى وتصدقنى على ما أوتيت[4] من ربى؟ قلت : إى والله قال سأفعل، ولا تسألنى عن شىء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تُظهر شيئًا من هذا الأمر حتى يظهر ، وانتظرما وُعِدْتَه من غير أن تسأله . ثم قال لى بعد أيام أتحب أن تنظر المعجزة التى جرى ذكرها قلت : إى والله، فقال لى : إذا أرسلتُ إليك هذا العبد فاركب معه ، ولا تتأخر ، ولا تخرج معك أحداً . قلت : نعم . فلما كان بعد أيام تَغيمت السماء فى يوم من أيام الشتاء ، وإذا عبدُه قد أقبل ، فقال : يقول لك مولاى اركب للموعد ، فبادرت إلى الركوب معه ، وقلت أين ركب مولاك ؟ قال إلى الصحراء ، واشتدّ وقعُ المطر ، فقال : بادر بنا حتى نَستترَ من هذا المطر مع مولاى ، فإنه ينتظرنا بأعلى تلّ لا يصيبُه فيه المطر . قلت وكيف عمل ؟ قال أقبل إلى السماء أول ما بدا السحاب الأسود ، وهو يتكلم بما لا أفهم ثم أخذ السوط ، فأدار به فى موضع ستنظر إليه ، وإذا هو على تلّ بعيد عن البلد نصف فرسخ ، فأتيته فإذا هو على التلّ ، ولم يصبه من ذلك المطر شىء ، وقد

---

(١) هذا البيت انفرد بروايته الأصل .
(٢) كذا فى ا ، ب . وفى حـ ، د ، هـ : نبى مرسل .
(٣) كذا فى ا ، ب . وفى حـ ، د ، هـ : من القرآن .
(٤) كذا فى ا وفى ب ، حـ ، د : أتيت به (مبنياً للمعلوم) وفى هـ : أوتيت به . بالبناء للمجهول .

خضت فى الماء إلى رُكبة الفرس، والمطرُ فى أشد ما يكون ، ونظرتُ إلى نحو مئتى ذراع فى مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر ، فسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام .

انظر كيف أصل الرجل

فقلت : ابسط يديك أشهد أنك رسول الله . . . فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ثم قال :

أىَّ محـل أرتـقى ؟ أىّ عـظم أتـقى ؟
وكلٌ ما قد خلـق اللـه وما لم يخلق ...
مُحتقـرٌ فى همـتى كشعرة فى مَفْرِق ...!

* * *

كيف عمت بيعته

وأخذت بيعته لأهلى ، ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمتْ كلّ مدينة فى الشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العَرَب وهى صَدْحةُ المطر[1] يَصْرِفه بها عن أى مكان أحبّ بعد أن يُحَوّىَ بعصاً[2] ، وينفُث فى الصدحة التى لهم * .

قال أبو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ، ولا يتعاظمونه ، حتى إن أحدهم يصدح عن غنمه وإبله . وعن القرية فلا يصيبها شىء من المطر ، وهو ضرب من السحر . وسألت المتنبى بعد ذلك هل دخلت السكون ؟ قال : نعم أما سمعت قولى من قصيدتى التى أولها[3]

مُلِثَّ القَطر أعطشها رُبوعا وإلاّ فاسقِها السمَّ النقيعا[4]

---

(١) كذا فى ا . وفى ب ، جـ ، هـ : وقد صدحه . تحريف . والصدحة : رقية تزعم العرب أنها تمنع المطر أن يصيب مكاناً وقد أصاب كل ما حوله من الأرض .

(٢) والتحوية بالعصا : إدارتها فى الهواء .

* راوى هذه القصة هو أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، وفيه وفى قصته يقول العكبرى حـ ٤ ص ٢٤ طبعة الحلبى : ذكر (يريد معاذاً هذا) أن أبا الطيب قدم عليه باللاذقية سنة ٣٢٦ وأنه ادعى النبوة وذكر عنه حكاية قبيحة وأنه كان يعلم طرفاً من السيمياء وما استجزت أن أذكرها » .

وكأن صاحب شرح التبيان يردد هذه الخرافة عن أبى الطيب كما ردها غيره من المحققين .

(٣) من قصيدتى التى أولها » ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٤) الملث : الدائم المقيم . النقيع : المنقوع ، والمراد به : المميت . يقول : يأيها السحاب الدائم المطر ، أعطش هذه الربوع ، وإن سقيتها فاسقها السم بدل الماء . وقد نقد بعض الشراح هذا البيت بأن العرب لم يعتادوا الدعاء على الديار ، وإنما اعتادوا الدعاء لها . ولا عيب على أبى الطيب فى هذا ، لأنه إنما يعبر عن ديار أساء إليه أهلها ، ولم تحسن إقامته بينهم ، لكن الذى يؤخذ أن يخاطب ممدوحه فى أول بيت من القصيدة بهذا المطلع . وما أشبهه فى هذا بمطلعه فى مدح كافور :

* كفى بك داء أن ترى الموت شافيا *

أمُنْسِيَّ السَّكونَ وحَضْرموتًا ووالدتى وكِنـــدةَ والسَّبيعا

فقلت : من ثمّ استفاد ما جوّزه على طَغام[١] أهل الشام[٢] .

* * *

ومن كلامه الذى كان يزعم أنه قرآن أنزل عليه :

قرآنه

« والنجم السيار ، والفَلَك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى أخطار امضِ على سَنَنِك ، واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسَلين ؛ فإن الله قامعٌ باك زَيْغَ من ألحَد فى الدين ، وضلّ عن السبيل » .

ادعاء المتنبى أن الأرض تطوى له

ومما كان يُمخرق[٣] به على أهل البادية أنه كان مشاء قويًّا على السير ، يسير سيراً لا غايةَ بعده ، وكان عارفًا بالفلَوات ، ومواقع المياه ، ومحالّ العرب بها . وكان يسير من حِلّة إلى حِلة[٤] بالبادية ، وبينهما مسيرة أربعة أيام ، ، فيأتى ماء ، فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتى أهل هذه الحلة فيخبرهم عما حدث فى تلك الحِلة التى فارقها ويوهم أن الأرض تُطْوى له .

وسئل فى تلك الأيام عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخبر بنبوتى حيث قال : أنا لا[٥]نبىّ بعدى وأنا اسمى فى السماء (لا) .

من قرآن أبى العلاء عن الفصول والغايات الذى يقال إن أبا العلاء عارض به القرآن

وعلى ذكر قرآن المتنبى نذكر ما قيل من أن أبا العلاء المعرىّ عارض القرآن بكتاب وعنونه « بالفصول والغايات فى محاراة السوَر والآيات »[٦]فقيل له : ماهذا إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن . فقال : حتى تصقله الألسن فى المحاريب أربعمائة سنة . وعند ذلك انظروا كيف يكون .

---

(١) الطغام : أوغاد الناس . الواحد والجمع فيه سواء .

(٢) على أن رواية أبى معاذ هذا لا تثبت أمام النقد : إذ كيف يأخذ البيعة لنفسه ولأهله ، ثم يذكر بعد ذلك أن ما فعله المتنبى كان بأصغر حيلة تعلمها من العرب . اللهم إلا أن يكون أبو معاذ يجارى المتنبى فى سخافاته تماجناً وتظرفاً ، ويشهد لذلك قوله فى آخر الخبر : من ثم استفاد ما جوزه على طغام أهل الشام .

(٣) يمخرق : يكذب فى خداع .

(٤) الحلة : جماعة من البيوت متقاربة (شبه القرية فى مصر) .

(٥) أنا : ساقطة من ج ، د ، هـ وعلى هذا تكون « لا » مبتدأ ونبى خبر .

(٧) عرف بهذا الكتاب الدكتور طه حسين فى كتابه : « مع أبى العلاء فى سجنه » فانظره .

قال الباخَرْزى فى الدُّمْية[١] : أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخىّ ضريرٌ ماله فى أنواع الأدب ضريب ، ومكفوف فى قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألدّ محجوج ، وقد طال فى ظلال الإسلام آناؤه ، لكن ربما يترشح[٢] بالإلحاد إناؤه ؛ وعندنا خبر بصره ، والله أعلم ببصيرته ، والمطلع على سريرته ، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذى زعموا أنه عارض به القرآن وعنونه بالفصول والغايات ، ومجاراة السور والآيات ، وأظهر من نفسه تلك الخيانة وجذّ تلك الهَوْسات كما تَجِذّ العير الصَّلّيانة[٣] حتى قال القاضى أبو جعفر[٤] :

كلبٌ عوى بمعرة النعمـــان ... لما خلا عن ربْقة[٥] الإيمان
أمعرةَ النعمان[٦] ما أنجبتِ إذ ... أخرجتِ منك مَعَرّة العُمْيان

ومما ظهر من قرآن أبى العلاء : « أقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بليل بين الشَّرَط[٧] ومطالع سُهَيل ، إن الكافر لطويل الويل ، وإن العُمرَ لمكفوفُ الذيل ، اتق مدارج السَّيْل ، وطالع التوبةَ من قُبيل تنجُ وما إخالك بناج[٨] » .

---

(١) هو أبو الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الباخرزى الشاعر . وصفه صاحب الوفيات بالتفوق فى نثره ونظمه . وهو صاحب دمية العصر وعصرة أهل العصر ، وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبى . وقد قتل بباخرز وهى من نواحى نيسابور سنة ٤٦٧ هـ .

(٢) كذا فى جميع النسخ . تحريف . والصواب رشح بمعنى : سال ماؤه . وهذا هو المعنى المناسب . أما ترشح ، فمعناها تربى وتهيأ ، وليس بمناسب فى هذا المقام . ويؤيد هذا أنها رويت (ربما رشح) فى كتابى : الوافى بالوفيات للصفدى ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ؛ وعنهما نقل ذلك كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » .

(٣) المراد أنه اقتطع تلك المعانى التى ضمنها الفصول والغايات من الديانات القديمة التى قرأها ومن كتب الفلاسفة ، كما يقتطع العير الصليانة ، وهى ضرب من الشجر ينبت صعدا وأضخمه أعجازه وأصوله . والعير إذا كدمها بفيه اجتثها من أصلها .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن إسحاق بن على البحاق الزوزنى ، نسبة إلى البَحاث أحد أجداده . توفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٥) الربقة : العروة ، من الربق ، وهو حبل فيه عدة عرا تشد به البهم . والتعبير مجاز الغرض منه الخروج عن الدين وفى الحديث : خلع ربقة الإسلام من عنقه .

(٦) معرة النعمان : مدينة قديمة فى أعالى حلب ، ولد بها أبو العلاء .

(٧) الشرط بفتحتين : واحد الشرطين ، وهما نجمان من برج الحمل .

(٨) هذا القدر من قرآن أبى العلاء الذى يزعمون أنه عارض به القرآن رأيناه فى الجزء المطبوع من=

قال ابن سِنان[1] : وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة ، وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة ، وقد وضعه على حروف المعجم ، فى كل حرف فصول وغايات ، فالغاية مثل قوله بناج ، والفصل ما يتقدم الغاية ، فيذكر فصلا يتضمن التمجيد والمواعظ ، ويختمه بالغاية على حروف المعجم مثل

=« الفصول والغايات » بصورة أطول ، وشرح لغوى مفصل ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ فؤلف الصبح قد اختصر منه هذا القدر .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى شاعر أديب ، ولى قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح ، لكنه شق بها عصا الطاعة ، فاحتال عليه الملك حتى سمه ، فمات سنة ٤٦٦ هـ .

ومن رأى أن كتاب الفصول والغايات معارضة للقرآن ابن الجوزى ، كبعض القدماء قال : قد رأيت للمعرى كتاباً سماه الفصول والغايات ، يعارض به السور والآيات وهو كلام فى نهاية الركة والبرودة .

ونحن نرى رأى ابن سنان ، وننقل هنا تأييداً لهذا الرأى :

أولا : ما كتبه ناشر الجزء المطبوع من هذا الكتاب ، إذ يقول : « ومن غرائب كتبه ونوادرها كتاب الفصول والغايات ، وقد كان هذا الكتاب مفقوداً حتى إن أكثر من ترجم لأبى العلاء لم يذكره ، أما من ذكره منهم فادعى أنه عارض به القرآن الكريم ، وأحسب أن من ذكر ذلك لم ير الكتاب ، على أن بعض من نقل منه جملا نقلها مشوهة فكأنه سمعها من غيره ، ولم ينقل نصها منه .

والغرض الذى حدا بأبى العلاء إلى إملاء هذا الكتاب بثه للطلبة ما وعاه صدره من نوادر العلم وغرائبه ، وقد تخير لذلك أحسن مظهر يظهره فيه ، وهو تمجيد الله والمواعظ ، ليكون ذلك أقرب إلى النفوس ، وفيه مثوبة وقربى .

أما القول بأنه قصد مجاراة القرآن أو معارضته فذلك من قول حساده ، وكيف يريد ذلك ، وهو يمجد الله أحسن تمجيد وأروعه ، ويقر له بالعبودية والعجز ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، على أن فى الكتاب نفسه ما يدحض هذه المفتريات كلها حيث يقول من فصل غايته باء : علم ربنا ما علم ، أنى ألفت الكلم ، آمل رضاه المسلم ، واتقى سخطه المؤلم ، فهب لى ما أبلغ به رضاك من الكلم والمعانى الغراب .

ثم يقول ناشر الكتاب : وما وصل إلينا من هذا الكتاب هو الجزء الأول يبتدىء من أثناء حرف الهمزة ، وينتهى بحرف الخاء ، وقد بحثت عن باقى الكتاب فى كل المظان ، فلم أجد له من أثر .

ثانياً : ما جاء فى أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى للشيخ يوسف البديعى مؤلف كتاب الصبح ، إذ يقول : « ويقال إن الذين نسبوه إلى معارضة القرآن العزيز بهذا الكتاب وهو الفصول والغايات كانوا من أهل زمانه يحسدونه على فضله ومكانته ، فقصدوا لأذاه ، وتتبعوا كلامه ، فحملوه على غير المقصود الذى قصده كما هو عادة أبناء كل زمان فى افتراء الكذب ، واختلاق البهتان ، وقد ألف هو (أبو العلاء) كتاباً فى الرد على من نسبه إلى معارضة القرآن والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه ، ورموه بسببها بالكفر والطغيان ، وسمى الكتاب « زهر التابع » رد فيه على الطاعن فى دينه والقادح ص ٦٥ من أوج التحرى .

تاج وراج وحاج ، كالمُخمسات والمُوشحات[١] ، وهذه فصول منه ، وقد انتُقدت عليـــه .

لُبّك نبيك الصادق ، فانظر ما يُخبرَنّك ولا تخالفنه ، وعليك سجيةَ المؤمن ، وشاكِه فنه . ما أثق بخبر يَنفيه اللبّ . غيّرَ الكلمَ بغضٌ وحُبّ . اتبعْ معقولك فإنه يَهديكَ ، ولا تكن شر تَبيع . كيف أسفك على الغصون الناضرة هزها نسيم لَطُف فمَذَبَلْن . لو صَدَقَنا المخبر لوقع الجِدّ ، ولكن بان كذبه لمن يَعقل ، فما أطاق الناس الكُلَف . وبالله الواحد أتعوذ من شرّ الألسنة وما أجلَبْن : من زعم أنه قد هُدى فذلك هو المرء المتحير . ما لعماك لَحَاهُ الله مانت الصمْد أخبارُه : أخبرك زعيمٌ عن ربك فخُطّت بالكذب أخبارُه ؛ من ربح من سوق الكذب فذلك المعروفُ خَسارُه : قد غَبَرَ قليلَ العمر ، وذهب فى الباطل سارُه اجعل معقولَك دليلكَ . وأبْرِدْ بالنسك غليلكَ ، واحذر أن تهضِم دليلك . رب حديث يُستمع والعقل يخبركَ ضدّه . عزّ مُصوّر الأمم لم يُثبت الفكرُ نِدّه . العقل نبيء ، والخاطر خبيء والنظر رَبيء[٢] ، ونور الله لهذه الثلاثة مُعين . القوة بكَ إلهَ الجبارين . أخبِرَ عنك فسمعتُ الخبر ، وكيف يظهر سرُّك إلى المخلوقين ، ومنحتنى حِسًّا يشهد أن أخبارهم أباطيل ، فإذا صدقتها ألغَيتُ مامنحتنيه وإن كذبتها أفعاقبى أنت برد ما دفعه المعقول ؟ كيف أصدق ما نقله ابن دأب* . نستغفرك وأنت الواحد ، مالعظمتك جاحد . أخبر بعضُ الناس عنك فكذب ؛ وأنت أهل العظمة ما أوْجُه الكَذَبة وضاء . ما نقدر على ما يرضيك . لأنا لا نعرف غَرَضك . لكن العقل يخبر أن فعل الخير لوجهك . إن كتب كاتب علىّ فليحفظ عن لسانى وشفتىّ ، أنى أقرّ بالله فلا أجحده ، وأستغفره وأوحّده ، وأشهد على أن كان ذنبى بخطأ وتفريط لا أحسم أملى من عفو الله العظيم ، وأزدرى نفسى

---

(١) يشبه نثر الفصول والغايات بما التزم فى سجعاته من نظام خاص بالمخمسات والموشحات .

(٢) من قوله : العقل . . . إلى « ونور الله للثلاثة معين » رأيناه ضمن فصل من الجزء المطبوع من الفصول والغايات ص ٢٠٨ غايته ثاء . ومعنى : نبيء : منبيء ، خبيء : مخبوء ، ربيء : حارس مطلع .

* هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن دأب أحد بنى ليث بن بكر ، كان شاعراً أخبارياً ، وعلمه بالأخبار أكثر . قال الأصمعى : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة ومصنوعة ، وكان بها ابن دأب يصنع الشعر ، وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسب إلى العرب فسقط وذهب علمه ، وخفيت روايته . . . تاج العروس ج ١ ص ٢٣٢ مادة دأب .

من دون الأنفس ، وقلّ ما أنظر إلى البشر بازدراء، ما أنطقُ وما أقول ، فى شأن الصمد ضلت العقول ، ما يئستُ من كرمك ولا أبلست، ألستُ عبدك ألسْت ؟ بلى ، ولكنى مسىء ، فلا إله إلا أنت استغنيت بمعرفتك عن كل السفراء ؛ الحمد لك إذ لم تنشر لى حديثًا فى البشر كحديث العبْرىّ[١] إذ فعل مع الكَنَّة فعل غير سرىّ . تلتمس . من ربك ، وليس فى الأنوار المشرقة شىء أعظم إنارة من حجاك .

خروج المتنبى والقبض عليه وسجنه

ولما اشتهر أمره[٢] وشاع ذكره ، وخرج بأرض سَلَمِيَّة[٣] من عمل حمص فى بنى عدىّ قبض عليه ابن علىّ الهاشمى فى قرية يقال لها كُوتَكِين ، وأمر النجارَ بأن يجعل فى رجليه[٤] وعنقه قرْمتين[٥] من خشب الصَّفصاف ، فقال المتنبى :

زعم المقيمُ بكوتكين بأنه ... من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبتُه مذ صرتَ من أبنائهم ... صارت قيودُهم من الصَّفصاف[٦]

ولما صار معتقلاً فى الحبس كتب إلى الوالى :

بيدى أيها الأمير الأريبُ ... لا لشىء إلا لأنى غريبُ
أو لأمّ لها إذا ذكرتنى ... دمُ قلب بدمع عين يذوب[٧]
إن أكن قبل أن رأيتُك أخطأ ... تُ فإنى على يديك أتوب
عائبٌ عابنى لديك ومنه ... خُلقتْ فى ذوى العيوب العيوبُ

قيل : كان للوالى الذى حبس المتنبى ولدٌ صغير فسمع به ، فدخل لينظره ،

---

(١) العبرى : لم نعثر له على خبر .

(٢) « أمره » كذا فى : ا ، ب وفى سائر النسخ « أمر المتنبى » .

(٣) مدينة على بعد أربع ساعات من حماة بجهة الشرق كانت أيام سيف الدولة وقد جاء ذكرها فى شعر المتنبى ثم خربت .

(٤) سائر النسخ : رجله .

(٥) المراد بالقرمة القطعة الغليظة من الخشب .

(٦) كوثلين : ضيعة بأرض سلمية (عن الواحدى) .
« فأجبته مذ صرت من أبنائهم » كذا فى ا ، ب .
وفى حـ ، د ، هـ : «مذ صرت فى أبنائهم متنبئا » .
وفى الواحدى : « فأجبته من صرت من أبنائهم » والبيتان تحكم بابن على الهاشمى المقيم بكوثلين .

(٧) « دم قلب بدمع عين يذوب » كذا فى جميع النسخ . وفى الواحدى :
« دمع قلب بدمع عين سكوب » .

فرآه منزعجًا من القيود مضطربًا ، فقال له : اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل :

ما قاله فى السجن ب

وهذه موضوعة ، لأنها نقلت عن أحد أبناء الخلفاء العباسية ، وكتب إليه من السجن قصيدة يستعطفه بها[1] أولها :

أيا خدّد الله وردَ الخدودِ ... وقدّ قدودَ الحسانِ القُدودِ

يقول فى أثنائها فى استعطاف ذلك الأمير والتنصل إليه مما اتُّهم به :

لقد حال بالسيف دون الوعيدِ ... وحالت عطاياه دون الوعودِ
فأنجم أمـوالـه فى النحوسِ ... وأنجم سُؤّالـه فى السعود[2]
ولـو لم أخفْ غـيرَ أعدائـه ... عليـه لبشرتُه بالخلـود[3]

قيل[4] : ولما وصل الوالى إلى هذا البيت وهو :

وبيـض مسـافرة لا[5] يقمـ ... ـن لا فى الرّقاب ولا فى الغُمودِ

قال : لقد تصبب عرقًا ، وتقلب أرقًا حتى استنبط هذا المعنى من قول أبى بكر النحوى المعروف ببُرمة[6] وهو :

وبيض تسافـر ما إن تقيم ... لا فى الرقاب ولا فى القُرُبْ
بطـىء رضـاهن لكنهـا ... غداة اللقـاء سِراعُ الغضبْ

---

(١) جاء فى بعض نسخ الديوان تقديماً لهذه القصيدة : أن هذا الوالى هو إسحق بن كيغلغ ، وكان قوم قد وشوا بالمتنبى إليه ، وقالوا له قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يستعطفه . ومعنى المطلع : أنه دعا على ورد الخدود أن يشققه الله ويزيل حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان وهو دعاء على التعجب والاستحسان كقول جميل :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى ... وفى الغر من أنيابها بالقوادح

(٢) هذا المعنى منقول من قول الطائى :

طلعت على الأموال أنحس مطلع ... وعدت على السؤال وهى سعود

(٣) يقول : لا أخاف عليه أعداءه ؛ لأنهم لا يستطيعون أن ينالوه بشر ، وإنما أخاف عليه قضاء الله المحتوم ، ولولا ذلك لبشرته بالخلود .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) فى هامش (ه) عن نسخة وفى الديوان : ما يقمن .

(٦) ب ، د ، ه : بعرمة . حـ : بعرقلة . تحريف . وأبو بكر هذا هو محمد بن جعفر صهر المبرد على ابنته .

إلى أن قال :

أمالكَ رقّى ومَنْ شأنُه ... هبات اللُّجَيْن وعتقُ العبيدِ
دعوتُك عند انقطاع الرجا ... ءِ والموت منّى كحبل الوريد
دعوتك لما برانى البلى ... وأوهن رِجلىَّ ثِقْلُ الحديد
وقد كان مشيهُما فى النعال ... فقد صار مشيهُما فى القيود
وكنتُ من الناس فى مَحْفِل ... فها أنا فى محفل من قرود[1]
تعجل فىّ وجوبَ الحدود ... وحدّى قبل وجوب السجودِ

أى إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبى لم تجب علىّ الصلاة بعد ويجوز أن يكون صغر أمر نفسه عند الوالى ، لأن من كان صبيًّا لم يظنّ به اجتماعُ الناس إليه للشقاق والخلاف . ومنها :

وقيل عدوتَ على العالمي ... ن بين ولادى وبين القُعودِ
فمالكَ تقبلُ زورَ الكلام ... وقدرُ الشهادة قدرُ الشهود
فلا تسمعنّ من الكاذبين ... ولا تعبأنّ بِمحك اليهود[2]
وكن فارقًا بين دعوى أردت ... ودعوى « فعلت » بشأو بعيد
وفى جود كفيك ما جُدتَ لى ... بنفسى ولو كنتُ أشقى ثمودِ[3]

ما قاله فى السجن ب

وكتبت إلى أبى دُلف سجان الوالى الممدوح بالقصيدة السابقة وقد بره [فى السجن][4] :

أهونِ بطول الثّواء والتّلفِ ... والسجنِ والقيد يا أبا دلفِ
غيرَ اختيار قبلتُ بِرّك لى ... والجوعُ يُرضى الأسودَ بالجِيفِ

---

(١) أراد بالقرود هنا المحبوسين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات .

(٢) المحك : اللجاج .

(٣) هو قدار بن سالف عاقر ناقة صالح وقد ضرب به المثل فى الشقاء .

(٤) ساقطة من الأصل ، وكان أبو دلف هذا قد أهدى إلى المتنبى هدية وهو معتقل بحمص فقبلها المتنبى على كره لما بلغه من ثلب أبى دلف له عند الوالى ويقال إنه توعده بالبقاء فى السجن والأبيات ناطقة بهذا ، وأبو دلف هذا هو سجان المتنبى حبس عنده سنتين ، وكان مع ذلك صديقه ، بره وهو فى سجن الوالى الذى كتب إليه المتنبى قصيدته السابقة : « أياخدد الله ورد الخدود »

كن أيّها السجن كيف شئتَ فقد ... وطنتُ للموت نفسَ مُعترَف[1]
لو كان سكناى فيكَ منقصةً ... لم يكن الدُّر ساكنَ الصَّدَف[2]

والبيت الثانى مأخوذ من قول أبى على البصير[3] :

ولكنّ البلاد إذا اقشعرت ... وصَوّحَ نَبتُها رُعِيَ الهشيمُ

ومنه أخذ المهلبىّ[4] قوله :

وما كنتَ إلا كلحم ميّتٍ ... دعا إلى أكله اضطرارُ

والبيت الرابع يشابه قول أبى نصر الخبزَ أرزى[5] :

حصلتُ منكم على ما ليس يُقنعنى ... وكيف يُقنعُ سوءُ الكيل والحشَفُ

---

(١) هامش هـ عن نسخة : أنت بدل « شئت » . المعترف : الصابر .

(٢) هو من قول أبى هفان :

تعجبت در من شيبى فقلت لها ... لا تعجبى فطلوع البدر فى الصدف
وزادها عجبا أن رحت فى مثل ... وما درت در أن الدر فى الصدف

(٣) أبو على البصير : هو الفضل بن جعفر . أصله من الأنبار ، وسكن الكوفة وبغداد ، وكان ضريراً ، ولقب البصير لذكائه . وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء . وقدم « سر من رأى » فى أول خلافة المعتصم ، ومدحه والخلفاء بعده ، وبها توفى سنة ٢٥١ هـ . وقبل البيت الذى ذكره المؤلف :

لعمر أبيك ما انتسب المعلى ... إلى كرم وفى الدنيا كريم

والذى فى العكبرى أن المتنبى نقل عن المهلبى ، ثم قال : ومثله لأبى على البصير .

(٤) المهلبى : المراد بالمهلبى هنا : عبد الله بن محمد بن أبى عيينة كما فى الوساطة طبعة العرفان بصيدا صفحة ١٧٠ . وكان عبد الله هذا شاعراً وأبوه أبو عيينة محمد بن أبى عيينة بن المهلب شاعراً أيضاً ، وقد ذكرهما ابن النديم فى الفهرست (طبعة القاهرة ص ٢٣٣) وذكر أن لكل منهما ديواناً فى نحو مئة ورقة . وكان بين عبد الله وابن عمه مروان بن سعيد الذى ستأتى ترجمته مهاجاة . وفى الموشح للمرزبانى (طبعة القاهرة ص ٣٧٠ — ٣٧٢) حديث عن هذه المهاجاة .

(٥) هو أبو القاسم البصرى المعروف بالخبز أرزى شاعر أمى مجيد كان خبازاً يخبز خبز الأرز بدكان له فى مربد البصرة ، فكان يخبز وهو ينشد ما يقول من الشعر ، فيجتمع الناس حوله ، ويزدحمون عليه لاستماع شعره ، ويتعجبون من إجادته فى مثل حاله وحرفته ، ومن شعره :

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما ... هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد فى الوجنتين ... وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيب القمر

وتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

وليس سُكناىَ نقصاناً لمنزلتى فيكم كما الدُّر لا يُزرى به الصدفُ

سجنية على بن الجهم

وأحسن * ما قاله مسجون قولُ علىّ بن الجهم[١] لما حبسه المتوكل[٢]:

قالت[٣] حُبستَ فقلتُ ليس بضائرى[٤] حبسى وأىُّ مهنـد لا يُغمَدُ
أوما رأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ كِبْراً وأوباشُ السباع تَرَدَّدُ[٥]
والنار فى أحجارها مخبوءةٌ لا تُصْطلى إن لم تُثرها الأزنُدُ
والغيث يَحْظُره الغمام فما يُرى إلا وَرَيّقهُ يُراحُ ويَرْعُدُ[٦]
والبدر يدركه الظلام فتنجلى أيامه فكأنه متجدد[٧]
والزاعبية لا يقيم كعوبها إلا الثقافُ وجذوة تتوقد[٨]

* هذه القصيدة من حر الشعر لم يقل فى معناها مثلها . اقرأ ما كتب عنها فى ديوان ابن الجهم تحقيق خليل مردم بك وقد رجعنا إليه فى تصحيحها وهى طويلة اقتصر المؤلف هنا على رواية بعضها على أن أبياتها هنا على غير ترتيبها فى الديوان المشار إليه .

(١) هو أبو الحسن على بن الجهم القرشى أحد الشعراء المجيدين نشأ بخراسان ، وانتقل منها إلى العراق فسكن بغداد ، واتصل بالمتوكل فاختص به ، ولكنه كان نماما واشياً بالناس كثير الكذب ، فلما ظهر للمتوكل أمره ، وبلغه أنه هجاه سجنه ، وفى سجنه هذا قال قصيدته تلك ينفى فيها عار السجن ، وتعد فريدة فى بابها . ويقال إن المتوكل نفاه إلى خراسان سنة ٢٣٢ هـ ليعذب فيها على يد طاهر بن عبد الله ابن طاهر بن الحسين حتى قيل إنه صلبه يوماً كاملا وقد مات مقتولا سنة ٢٤٩ هـ فى الطريق بين العراق والشام ، وكان من أطبع الناس على الشعر الجيد وهو القائل :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ندرى ولاندرى

ويقال إنه لما نزعت ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة قد كتب فيها :

وارحمتا للغريب بالبلد النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

(٢) المتوكل : هو الخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم العباسى بويع له بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ بعد أخيه الواثق وقد بايع بولاية العهد لولده المستنصر ثم أراد عزله وولاية أخيه المعتز ، واتفق أن جنده من الترك قد انحرفوا عنه فاتفقوا مع ابنه على قتله ، ودخلوا عليه فى مجلس لهوه ، وقتلوه فى سنة ٢٤٧ هـ .

(٣) هامش (هـ) عن نسخة : قالوا .

(٤) روى : بضائر . (٥) الغيل : الشجر الكثير الملتف والأجم وموضع الأسد .

(٦) يحظره : يمنعه . رواية الديوان : يحصره .
ريق كل شىء : أوله . يراح من راح اليوم يراح ريحا كان شديد الريح يريد بينا الغمام يمسك المطر إذ تهب عليه الريح فجأة ويحدث الرعد فى خلاله فيتبدد ماؤه ويتساقط على غير انتظار .

(٧) روى : والبدر يدركه السرار . . .

(٨) الزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب رجل من الخورج كان يعمل الأسنة . وفى جميع النسخ الزاغبية بالغين المعجمة تحريف .

غيرُ الليالى باديات عُوَّد ... والمال عارية يفادُ فيَنفد[١]
لا يُؤيسنَّك من تفرُّج كربة ... خطب أتاك به الزمانُ الأنكد[٢]
فلكلّ حال مُعقبٌ ولربما ... أجلى لك المكروهُ عما يُحمدُ
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبهُ والعُوَّد*
صبراً فإن اليوم يعقبه غدُ ... ويدُ الخلافة لا تطاولها يدُ[٣]
والحبسُ ما لم تغشهُ لدنية ... شنعاءَ نعم المنزل المُتَرَدَّد[٤]
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه ... لا تستذلك بالحجاب الأعبدُ
بيت يُجدّد للكريم كرامة ... وتُزار فيه ولا تزور وتُقْصد[٥]

ومنهـا :

أمن السَّوِيَّة يابنَ عمّ محمد ... خصمٌ تُقربُه وآخرُ تُبعدُ
إن الذين سعوا إليك بباطل ... أعداء نعمتك التى لا تُجْحدُ
شهدوا وغبْنا عنهم وتحكموا ... فينا وليس كغائب مَنْ يشهدُ
لو يجمع الخُصْمان[٦] عندك مجلس ... يوماً لبان لك الطريقُ الأقصدُ

---

(١) كذا فى ـ ، د والديوان وهى أجدر بهذا الموضع وفى ا ، ب : عبر .
(٢) الديوان : لا يؤيسنك ....
خطب رماك ...
* فى الموشح ص ٣٨٤ يقول تحت عنوان : محمود الوراق :
اشترك محمود وعلى بن الجهم فى معنى قول على وأحسن فيه : كم من عليل . . .
وقول محمود :

وكم من مريض نعاه الطبيب ... إلى نفسه وتولى كئيبا
فمات الطبيب وعاش المريض ... فأضحى إلى الناس ينعى الطبيبا

فأساء فيه ؛ لأنه إن كان أخذه من على وجاء به فى بيتين ومضغه وصيره قصصا بقوله : أضحى ينعاه إلى الناس ، فقد أخطأ ، وإن كان على أخذه منه فقد جاء فى بيت واحد وأحسن فصار أحق بالمعنى منه ، وأخذاه جميعاً من قول عدى بن زيد :

وصحيح أضحى يعود مريضا ... وهو أدنى للموت ممن يعود

(٣) الديوان : صبراً ، فإن الصبر يعقب راحة ....
(٤) المتردد أى المتردد عليه . الديوان : المتورد .
(٥) الديوان : ويزار فيه ولا يزور ويحفد . يحفد أى يخدم .
(٦) الخصمان : جمع خصيم وهو المخاصم . الديوان : (الخصمين مثنى خصم .

والشمس لولا أنها محجـوبةٌ عن ناظريك لما أضاء الفرقـد

قصيدة عاصم الكاتب

وقال عاصم بن محمد الكاتب * لما حبسه أحمد بن عبدالعزيز بن أبي دُلف[١] :

قالوا حُبستَ فقلت خطب أنكدُ أنحى عليّ به الزمانُ المُرْصِدُ[٢]
لو كنتُ حرًّا كان سربي مطلقًا ما كنتُ أحْبَس عَنوة وأقيد[٣]
لو كنتُ كالسيف المهند لم يكن وقتَ الكريهة والشدائد يُغمدُ
لو كنتُ كالليث الهصور لما رعتْ فيّ الذئابُ وجـذوتي تتـوقد
من قال إن الحبس بيت كرامة فمكابرٌ في قولـه مُتجلـد
ما الحبسُ إلا بيتُ كل مهانة ومذلـة ومكـاره لا تَنفَد
إن زارني فيه العدوُّ فشامتٌ يُبدي التوجع تارة ويُفنِّد[٤]
أو زارني فيه الصديق فموجَعٌ يُذري الدموع بزفرة تَتَرَدَّد
يكفيك أن الحبس بيتٌ لا ترى أحداً عليه من الخلائق يُحسد
تمضي الليالي لا أذوق لرقدة طَعما وكيف حياة من لا يَرْقُد؟
في مُطْبِق فيه النهار مُشاكِلٌ لِلّيل والظلمات فيه سَرْمَد[٥]

اعتذار المتنبي عن هذا الاسم

قال أبو علي[٦] : قيل للمتنبي على مَنْ تنبأت ؟ قال على الشعراء . فقيل : لكل نبيّ معجزة فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت :

ومِن نكد الدنيا على الحرّ أن يَرى عَدُوًّا له ما من صداقته بُدُّ

---

* عاصم بن محمد الكاتب : في معجم الشعراء أنه محدث متأخر كان في ناحية ابن أبي البغل محمد ابن يحيى وزير المقتدر (وخلافة المقتدر من ٢٩٥ هـ — ٣٢٠ هـ) وذكره صاحب الفهرست ط القاهرة ص ١٣٨ في الكتاب الشعراء وأن ديوانه في ثلاثين ورقة .

(١) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف : من أحفاد أبي دلف القاسم بن عيسى العجل أمير من بيت مجد ورياسة كان من الولاة في أيام المعتمد والمعتضد العباسيين .

(٢) في ا « الأنكد » مكان « المرصد » .

(٣) من معاني « السرب » النفس والطريق . عنوة : قهراً . (٤) يفند : يلوم .

(٥) مطبق : سجن تحت الأرض . ومن الطريف أن توازن بين ما قال هؤلاء الشعراء في السجن ، فترى بعضهم ينفي عاره ، ويذهب به الخيال مذاهب تصور السجن في صورة غير كريهة ، وأصرح هؤلاء الأخير فقد عبر أصدق تعبير عن آلام السجون .

(٦) أبو علي : استظهرنا أنه أبو علي الحسن بن أحمد بن أبان الفارسي ولد بفارس ، وانتقل إلى بغداد سنة ٣٠٧ هـ ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار في البلاد ، وأقام بحلب عند سيف الدولة وكان =

وحكى أبو الفتح عُثمان بن جنى[١] قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبتُ بالمتنبي لقولى :

أنا تِرْبُ النَّدى ورَبُّ القوافى ... وسِمام[٢] العِدَا وغَيظُ الحسودِ
أنـا فى أمَّـة تداركها اللـ ... ـهُ غريبٌ كصالح فى ثَمودِ
ما مُقامى بأرضِ نَحْلَةَ إلا ... كمقـام المسيح بين اليَهودِ[٣]

*قال أبو العلاء المعرىّ فى رسالة الغُفْران : وحُدِّثتُ أن المتنبي كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب ، قال : هو من النَّبْوة أى المرتفع من الأرض ، وكان قد طمع فى شىء قد طمع فيه من هو دونه ؛ ثم قال : وقد دلت أشياء فى ديوانه أنه كان مُتألِّهًا[٤] ومثلَ غيره من الناس مُتَدَلِّهًا[٥] . فمن ذلك قوله :

* ولا قابلاً إلا لخالقه حُكْما[٦] *

وقـوله :

ما أقدر اللهَ أن يُخْزِى بَرِيَّته ... ولا يُصَدِّقُ قولاً فى الذى زعموا[٧]

= قدومه عليه فى سنة ٣٤١ هـ وجرت بينه وبين أبى الطيب المتنبي مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة ، وتقدم عنده ، وعلت منزلته ، وهو صاحب كتاب الإيضاح والتكملة وغيرهما . توفى سنة ٣٧٧ هـ .

(١) كان من أئمة النحو والعربية ولد بالموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ .

ومن مؤلفاته الخصائص فى اللغة ، وكان يحضر مجلس عند المتنبى كثيراً ، ويناظره فى شىء من النحو وكان المتنبى يقول فى أبى الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ، ويقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى ، وتتلمذ أبو الفتح لأبى على الفارسى أربعين سنة .

(٢) سمام : جمع سم وفى سائر النسخ : سهام .

(٣) « نخلة » كذا فى الواحدى وهى قرية كما يقول لبنى كلب على ثلاثة أميال من بعلبك من أرض الشام . جميع النسخ (نحلة) وفى معجم البلدان رسم نحلة بالحاء المهملة قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال إياها عنى أبو الطيب فيما أحسب بقوله : ما مقامى . . . إلخ .

* ما بين النجمين الأول من : قال أبو العلاء . . . والثانى فى نهاية ص ٧ - زيادة انفردت بها «ا» .

(٤) متألهاً : متديناً .

(٥) متدلهاً : من دلهه العشق إذا ذهب بعقله يريد أنه كالمتصوف .

(٦) عجز بيت صدره : * تغرب لا مستعظما غير نفسه * وهو من قصيدة يرثى بها جدته لأمه مطلعها : * ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما *

(٧) الأصل : « بريته » بدل خليقته . « قولا » بدل « قوماً » .

ثم قال : وإذا رُجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا يُنْبِي عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويُحْتَمَلُ أن يظهر الرجل بالقول تديناً ، وإنما يَجْعل ذلك تزيناً .

ثم قال : وحُدِّثت أن المتنبي كان يصلي بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب ، وأنه صلى ركعتين ، وذلك فى وقت العصر . ويجوز أنه كان على سفر ، وأن القصر له جائز .

ثم قال : وحُدِّثْت عنه حديثاً معناه أنه لما حصل فى بنى عَدِيّ ، وحاول أن يَخْرج فيهم ، قالوا له وقد تبينوا دعواه : ههنا ناقة صعبة فإن قَدَرتَ على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة فى الإبل ، فتحيَّل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة ، وتنكرت بُرْهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشْى المُسْمِحَة وأنه ورد بها الحلة[1] ، وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت أيضاً أنه كان فى ديوان اللاَّذقية ؛ وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام ، فجرحته جرحاً مُفْرِطاً ، وأن أبا الطيب تَفَل عليها من ريقه وشدها ، غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لا تحلها فى يومك ، وعدّ له أياماً وليالى ، وأن ذلك الكاتب قبل منه ، فبرئ الجُرْح فصاروا يعتقدون فى أبى الطيب أعظم اعتقاد ، ويقولون : هو كمحيي الأموات .

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده فى اللاذقية أو فى غيرها من السواحل ، وأراد الانتقال من موضع إلى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح فى النُّباح ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد الكلب قد مات . فلما عاد الرجل ألفى الأمرَ على ما ذكر .

ولا يمتنع أن يكون أعدّ له شيئاً من المطاعم مسمومًا وألقاه وهو يُخفى عن صاحبه ما فعل* .

---

(١) الحلة : موضع .

* إلى هنا انتهت الزيادة التى انفردت بها النسخة (أ) .

وقال له بعض الأكابر وهو فى مدينة السلام : أخبرنى من أثق به أنك قلت : أنا نبى ، فقال : الذى قلته : أنا أحمدُ النبىّ[١] .

اتصاله بأبى العشائر

قال أبو عبد الله ياقوت الرومى[٢] :

ولم يزل المتنبى بعد خروجه من الاعتقال فى خمول وضعف حال[٣] فى بلاد[٤] الشام ، حتى اتصل بأبى العشائر[٥] ومدحه بعدة قصائد أولها[٦] :

أتُراهـا لكثرة العُشّاق ... تحسَبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقى[٧]

كيفَ تَرْثى التى تَرَى كلَّ جفن ... راءهـا غيرَ جَفْنِها غيرَ راقى[٨]

أنتِ منا فتنتِ نفسكِ لكنْ ... لكِ عُوفيتِ من ضَنًى واشتياقِ[٩]

حُلتِ دون المزارِ فاليومَ لو زُرْ ... تِ لحالَ النحولُ دُون العِناقِ

---

(١) فى هذا الجواب تورية لا تدفع عنه تهمة .

(٢) هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومى أسر صغيراً من بلاده وابتاعه رجل من تجار بغداد فعلمه وثقفه ورباه ودربه على التجارة فكان كثير الأسفار طواقاً فى الأمصار معنيا بطلب التجارة والكسب وبعد أن مات سيده استقل بالعمل وحده وأضاف إلى أعماله الاتجار بالكتب وكان كثير المطالعة مشغوفاً بها ومن أشهر مؤلفاته كتاب : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء وقد طبع أخيراً بمصر وكتاب معجم البلدان وقد طبع فى مصر ١٩٠٦ م وله غير هذين كتب كثيرة وتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

(٣) اختلف المؤرخون فى دعوى المتنبى النبوة فمنهم من قال بذلك كصاحب هذا الكتاب ومنهم من نفى هذه الدعوى وقال إن المتنبى إنما كان يطمع فى الملك وربما سعى إلى غايته باجتذاب بعض الأعراب الجفاة بإظهار شىء من الحيل المعروفة حتى يجتذبهم إلى نصرته من غير أن يكون هناك ادعاء للنبوة ودليلهم على ذلك أن أعداء المتنبى وقد كانوا كثيرين جداً لم يعيروه مرة واحدة بأنه ادعى النبوة مع أن ذلك لو ثبت لكان شر ما يوصف به ولاتسع به مجال الهجاء .

(٤) « فى بلاد الشام » ساقطة من سائر النسخ .

(٥) هو الحسن بن على بن الحسن بن الحسين بن حمدان بن عم سيف الدولة وأمير أنطاكية من قبله .

(٦) كذا فى ا ، ب . وفى سائر النسخ : منها قوله :

(٧) تراها : تظنها . المآق : جمع المأق لغة فى الموق وهو طرف العين مما يلى الأنف ، والمعنى : أتراها لكثرة العشاق الذين لا تراهم إلا باكين تحسب أنهم خلقوا هكذا فلا ترحمهم ولا ترثى لحالهم . وهذا ابتداء جيد .

(٨) راءها : مقلوب رآها . راق : راقه بمعنى منقطع الدمع .

والمعنى : كيف ترثى المعشوقة التى ترى كل جفن ما خلا جفنها سائل الدمع لهجرها وهذا بيان لما فى البيت السابق أى أنها تظن الجفون خلقت دامعة لأنها لا تراها إلا كذلك . وهذا البيت سىء التركيب .

(٩) أنت منا أى من جملة العاشقين لنفسك ولكنك سلمت مما بنا من السقم والشوق لأنك واصلت نفسك دوننا والمتنبى لم يسعفه تعبيره عن هذا المعنى .

ومنها فى المديح[١] :

وتكاد الظُّبى لما عوَّدُوها ... تَنْتَضى نفسها إلى الأعناق
وإذا أشفق الفوارسُ من وَقْـ ... ـعِ القَنا أشفقوا من الإشفاقِ[٢]

ومنها القصيدة التى أولها :

لا تَحْسبوا رَبْعكُمْ ولا طَلَلَه ... أولَ حَىٍّ فِراقُكم قَتَلَه
قد تَلِفَتْ قبلَهُ النفوسُ بِكُم ... وأكثرَتْ فى هواكُمُ العَذَلَه[٣]

ومنها فى المديح :

مُسْتَحيِيًا من أبى العشائر أنْ ... أسْحَبَ فى غير أرضه حُلَلَه[٤]
أسحَبُهَا عندَه لدى مَلِك ... ثيابُهُ مِنْ جَليسه خجِلَه[٥]

وأراد أبو العشائر سفراً فقال عند وداعه ارتجالا قصيدة أولها :

الناسُ ما لم يروكَ أشباهُ ... والدهرُ لفظ وأنتَ معناهُ
والجودُ عينٌ وفيك ناظرهُ ... والناسُ باعٌ وفيك يُمناهُ[٦]

ومنها :

تُنْشِد أثْوابنا مدائحَه ... بألسن ما لهنَّ أفواه
إذا مرَرْنا عَلَى الأصَمِّ بها ... أغنتهُ عن مسْمعَيه عَيْناهُ

---

(١) هذه العبارة ساقطة من حـ ، د ، هـ .

(٢) القنا : الرماح . الإشفاق : الخوف أى إذا خاف غيرهم من الفوارس أن يصابوا بأذى الحرب فهؤلاء يخافون أن يلحقهم عار الهزيمة .

(٣) كذا فى : ا وفى نسخة الديوان . وفى سائر النسخ : من هواكم .

(٤) فى هذه القصيدة تعريض بقوم لحق المتنبى منهم أذى يظهر فى هذا البيت وأخص من يعرض به رجل اسمه المسعودى كان المتنبى سبباً فى اتصاله بأبى العشائر ولكنه كان يتناوله عنده ويقع فيه ومن كلامه فى هذا الرجل من هذه القصيدة :

وربما أشهد الطعام على ... من لا يساوى الخبز الذى أكله

(٥) الديوان : وجلة .

(٦) كذا فى جميع النسخ وفى هامش هـ عن نسخة الديوان :

والجود عين وأنت ناظرها ... والبأس باع وأنت يمناه

وأصل هذا المعنى لِنُصَيْب[١] [حيث قال][٢] :

فَعادوا وأثْنَوْا بالَّذى أنت أهلُهُ ولو سَكَتُوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ[٣]

وتبعه مُعَوَّج الرَّقّ فى قوله[٤] :

قــد أتتنى من أبى العبّـ ـاس يومَ المِهْرجانِ
خِلَعٌ تُثْنى عليهِ الدهـ ـرَ مِنْ غيرِ لِسانِ

وإذا تأمَّل المتأمل عرَف الفرقَ بينهما وبين أبى الطيب[٥] .

[ومنها][٦] :

سُبحانَ مَنْ خَارَ للكواكب بالبُعـ ـد ولــو نُلْنَ كن جَــدْواه

---

(١) هو نصيب بن رباح شاعر مقدم فى النسيب والمدائح وكان عبداً أسود أعتقه عبد العزيز ابن مروان وسكن البادية وله شهرة ذائعة وأخبار مع عبد العزيز ابن مروان وسليمان بن عبدالملك والفرزدق وغيرهم توفى سنة ١٠٠ هـ .

(٢) « حيث قال » ساقطة من « ا » .

(٣) سقط بيت نصيب هذا من جميع النسخ غير « ا » .

(٤) « وتبعه معوج الرقى فى قوله » عبارة ساقطة من جميع النسخ أيضاً غير « ا » .
ومعوج الرقى شاعر كان فى بلاط سيف الدولة .

(٥) المعنى عند الشعراء الثلاثة واحد ويمتاز المتنبى بقوة المعانى وبيت نصيب من جملة أبيات يمدح بها سليمان بن عبد الملك وخلاصة الخبر : أن الفرزدق ونصيباً حضرا عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان للفرزدق أنشدنى مقدماً أن يمدحه فأنشد :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا ناراً يقولون : ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأطرق سليمان عنه مغضباً فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها قال : هات فأنشد :

أقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . وكان نصيب أسود ، فقال سليمان : يا غلام اعط نصيباً خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخــير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيــد

(٦) ساقطة من : ا ، ب .

لو كان ضوء الشموس فى يده ... لصاغه جوده وأفناه[1]
يا راحلاً كل من يودعه ... مودّع دينه ودنياه
إن كان فيما تراه من كرم ... فيك مزيد فزادك الله

فأكرمه أبو العشائر ، وعرف منزلته ، وكان أبو العشائر والى أنطاكية من قبل سيف الدولة .

اتصاله بسيف الدولة واشتراطه ألا ينشد قائماً

ولما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية[2] قدّم المتنبى إليه ، وأثنى عنده عليه ، [وعرّفه منزلته من الشعر والأدب][3] واشترط المتنبى على سيف الدولة أوّل اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا يُنشده إلا وهو قاعد ؛ وأنه لا يُكلّف تقبيل الأرض بين يديه ، فنُسب إلى الجنون ، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع إلى ما يرد منه ؛ وذلك فى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، ولما أنشده قصيدته التى أولها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه[4]
وما أنا إلا عاشق كل عاشق ... أعق خليليه الصفيين لائمه[5]
وقد يتزيا بالهوى غير أهله ... ويستصحب الإنسان من لا يلائمه
بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه[6]

---

(١) ا ، ب : الشمس . تحريف . وقوله « لصاغه » هـ : لصاعه أى فرقه . ويروى : أضاعه . ومعنى البيت : أنه يسبك ضوء الشمس مالا ويجود به .

(٢) أنطاكية بتخفيف الياء : قاعدة العواصم .

(٣) قوله « وعرفه . . . إلخ ساقطة من ا وفى جـ : وعرفه منزلته من الشعر .

(٤) هو من مطالعه القبيحة لما فيه من التعقيد وخفاء المعنى . أشجاه : اسم تفضيل من شجاه أى أحزنه . الطاسم : الدارس . تسعدا : تعينا . الساجم : الساكب . المعنى : يخاطب صاحبيه فيقول : وفاؤكما بمساعدتى كهذا الربع فإن الربع كلما درس كان أدعى إلى الحزن وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلت مساعدتكما لى بالبكاء اشتد حزنى لفقدى من أتأسى به ، وقوله : «والدمع أشفاه ساجمه» بيان لعذره فى البكاء . جاء فى العكبرى أنه لما أنشد أبو الطيب هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضراً ، فقال لأبى الطيب : تقول أشجاه ، وهو شجاه ، فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لأفعل التفضيل .

(٥) المعنى : ما أنا إلا عاشق شأنى شأن جميع العشاق ثم بين ذلك بقوله : إن كل عاشق يرى أن أكثر أصفيائه عقوقاً من لامه فى حبه .

(٦) قيل إن للتشبيه فى هذا البيت روعة وطرافة جاءا من شدة التوافق بين من يقف بديار الأحبة والشحيح الذى فقد فى الترب خاتمه لطول وقوفهما ودقة تأملهما .

قيل : كان أبو العلاء المعرىّ إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس[١] كذا ، قال البحترىّ كذا ، قال أبو تمام كذا ، فإذا أراد المتنبى قال : قال الشاعر كذا ، تعظيما له . فقيل له يومًا : لقد أسرفت فى وصفك المتنبىّ ، قال : أليس هو القائل :

بَلِيت بِلَى الأطلال إنْ لم أقفْ بها ... وقُوفَ شحيح ضَاع فى التُّرْبِ خاتمُه

وقوف الشحيح

[فقيل له][٢] : كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يومًا فقيل [له][٣] : ومِنْ أين علمت ذلك ؟ قال : سليمان بن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يومًا . فقيل له : ومن أين علمت أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى : « وَهَبْ لى مُلْكًا لا ينبغى لأحد من بعدى » وما كان عليه أن يهبَ الله لعباده أضعاف مُلْكه !

[ومنها][٤] :

كثيبًا تَوَقَّانى العواذلُ فى الهَوَى ... كما يَتَوَقَّى رَيِّضُ الخيلِ حازِمُه[٥]
قفِى تَغْرَمِ الأولَى من اللَّحظ مُهجتى ... بثانية والمتلفُ الشىء غارمُه[٦]

وهذا من قول الخبزأرْزِىّ :

إلى كم أذِلّ وأستعطفُ ... وأنت تجورُ ولا تُنْصِفُ
أيا يوسفَ الحسنِ صِلْ مُدْنفًا ... مدامِعُهُ لم تَزَلْ تَذْرِفُ
أعيذكَ مِنْ ظالم غاشم ... سِوَى الخلفِ فى الوعدِ لا يعرفُ[٧]

---

(١) هو أبو على الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية قال فيه الجاحظ : لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبى نواس ولد سنة ١٤١ وتوفى سنة ١٩٥ هـ.

(٢) ما بين المعقوفين عن حـ وهامش هـ .

(٣) (له) : ساقطة من ا .

(٤) ساقطة من : ا ، ب .

(٥) ريض الخيل : الصعب الذى لم يركب . حازمه : من يشد حزامه .

(٦) غرم ما أتلفه : لزمه أداؤه . والمعنى : أنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته فيقول لها : قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتى وتحييها فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرماً لما أتلفته النظرة الأولى .

(٧) حـ ، د ، هـ : لا تعرف .

ولى مهجةٌ أنت أتلفتَهَا عليكَ غرامةُ ما تُتْلِفُ

وبيت المتنبى فيه زيادة أكسبته[١] حسنًا .

[ومنها][٢] :

سَقَاكِ وحيَّانا بِكِ اللهُ إنما على العيسِ نَوْرٌ والخدُورُ كمائمُه[٣]

وما حاجةُ الأظعانِ حولكِ فى الدُّجَى إلى قَمَرٍ ما واجدٌ لكِ عادمُه[٤]

وقال البُحْتُرِىّ فى هذا المعنى :

أضرَّتْ بضوءِ البدرِ والبدرُ طالعٌ وقامتْ مقامَ البدرِ لما تَغَيَّبا

وقال الخبزَأرْزِىّ فى هذا المعنى[٥] :

وما حاجة الرَّكْب السُّرَاة إذا بَدَا لهم وجهُهُ ليلا إلى طَلْعة البدر

إنشاد المعتمد ابن عباد بيت المتنبى وما قاله ابن وهبون

وأنشدَ فى مجلس المعتمدِ بنِ عبَّاد اللَّخْمِىّ[٦] صاحب إشبيلية (أعادها الله كما كانت)[٧] قولُه منها :

إذا ظفرتْ منكِ العيونُ بنظرة أثابَ بها مُعْطِى المَطِىّ ورَازِمُه[٨]

فجعل المعتمدِ يردده استحسانًا له ، وكان فى مجلسه[٩] أبو محمد عبد الجليل

---

(١) فى سائر النسخ : ألبسته . والزيادة التى أشار إليها فى بيت المتنبى هى طلبه الوقوف .

(٢) « ومنها » ساقطة من ا ، ب .

(٣) كذا فى : ا وفى : ب : سقاك وحياك الله . تحريف . وفى حـ ، د ، هـ : سقاك وحياك الإله وإنما . العيس : الإبل . النور : الزهر الأبيض . الكمائم : أغلفة النور . الخدور : جمع خدر الستر الذى يشبه الهودج .

(٤) الأظعان : النساء فى الهوادج . « ما واجد لك عادمه » استئناف معناه أنه من وجدك لم يعدم القمر لأنك قمر مثله ومثله قول الآخر :

إن بيتًا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

(٥) سائر النسخ : « وتبعه الخبزأرزى فى قوله » وفى نسخة ا تقديم قول الخبزأرزى على قول البحترى والترتيب الزمنى يقتضى تقديم قول البحترى :

(٦) المعتمد بن عباد اللخمى : صاحب إشبيلية وقرطبة وأشهر ملوك الطوائف توفى سنة ٤٨٨ هـ .

(٧) « أعادها الله كما كانت » ساقطة من ا .

(٨) أثاب : رجع إليه نشاطه . المعى : الكليل . الرازم : الساقط إعياء .

(٩) « وكان فى مجلسه » كذا فى ا . وكلمة : « مجلسه » سقطت من ب . حـ ، د ، هـ : وكان فى المجلس .

ابن وهْبون[١] الأندلسى فأنشد ارتجالاً :

لئن حاد شعر ابن الحسين فإنما ... تجيد العطايا واللُّهَا تفتح اللَّها
تنبأ عُجبًا بالقريض ولو دَرَى ... بأنك تَرْوِى شعرَه لتألَّها[٢]

ومنها فى المديح :

ادعاء أن الطير من جملة الجيش

له عسكرا خيل وطير إذا رَمَى ... بها عسكراً لم تَبق إلا جَمَاجِمُهْ[٣]
أجلَّتَها من كل طاغ ثيابُه ... ومَوْطِئُها من كل باغ ملاغِمُهْ[٤]
فقد ملَّ ضوءُ الصبح مما تُغيرُه ... وملَّ سوادُ الليل مما تزاحمُهْ[٥]
[وملَّ القنا مما تَدقّ صدورَهُ ... وملَّ حديدُ الهند مما تلاطِمُهْ][٦]
سَحابٌ مِنَ العِقْبانِ يَزحف تحتها ... سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمُه[٧]

واعتَرَض على هذا البيت أبو سعيد العميدى[٨] ، حيث قال : « لم يسمع

---

(١) « ا » أبو محمد بن عبد الجليل . سائر النسخ : محمد بن عبد الجليل وكلاهما محرف والصواب ما أثبتنا .

(٢) « تجيد العطايا » كذا فى ابن خلكان ترجمة المتنبى .
« ا » تجر . ب : تخبر تحريف . سائر النسخ : لأجل . . .

(٣) ا : به عسكرا . والمعنى : أن لسيف الدولة عسكرين : أحدهما خيله والآخر الطير التى تصحبه فى الحرب لتقع على القتلى فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم لأن عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم .

(٤) الأجلة : جمع جلال وهو ما يجعل على ظهر الدابة . الملاغم : ما حول الفم أى أنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله ويوطىء حوافرها وجه كل باغ منهم .

(٥) المعنى : أن الصبح ملّ من كثرة إغارتك فيه مباغتة للعدو ، وملّ سواد الليل من كثرة مزاحمتك له لأنه لا يكفك عن القتال فكأنك تزاحمه .

(٦) القنا : الرماح . تدق : تكسر . صدور الرماح : أعاليها .
والمعنى : أن الرماح ملت من طول مقاتلتك بها وتكسيرك صدورها فى أضلاع الفرسان وملت السيوف من كثرة ما تلاطمها بالرءوس والبيت ساقط من ا .

(٧) العقبان : بكسر العين جمع عقاب بضمها وهو طائر فى حجم النسر . جعل العقبان الطائرة فوق جيشه سحاباً وجعل جيشه تحتها سحاباً آخر فإذا استسقت سحاب العقبان سقاها سحاب جيشه الدماء التى تريقها سيوفه .

(٨) أبو سعيد العميدى شاعر ذكره الثعالبى فى تتمة اليتيمة ج ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ فى جملة شعراء خراسان وهو صاحب الإبانة عن سرقات المتنبى وقد عاش فى مصر وتولى ديوان الإنشاء بها واعتراض العميدى على أبى الطيب غير وجيه بل إننا نرى فى كلام أبى الطيب تجديداً تظهر فيه عبقرية الشاعر فقد ألف الناس=

بأن السحابة تسقى ما فوقها » وجوابه ظاهر [١] . وهذا معنى حوى طرفى الإعجاب والإغراب وقد تجاذبته أفكار الشعراء ، فمما جاء منه [٢] قول النابغة :

إذا ما غزَا بالجيش حلَّق فوقهم ... عَصَائبُ طير تهتدى بعصائبِ
جوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ [٣]

وقال أبو نواس :

يتوخى الطير غدْوَتَه ... ثِقة باللَّحْمِ من جزَرِهْ [٤]

وقال مسلم بن الوليد [٥] :

قد عوَّد الطيرَ عادات وثقْن به [٦] ... فهنّ يتْبَعْنَهُ فى كل مُرْتَحل

=أن السحاب يسقى ما تحته ولكن الشاعر هنا ينبئنا بأن الجيش بضخامته وكثرة رجاله وعدده سحاب من نوع جديد إذا سقى سحاب السماء ما تحته سقى هو ما فوقه وهذا شبيه بقول أبى تمام فى وصف المنجنيق حين يقول :

* أرض على سمائها دوور *

مع أن المألوف أن السماء هى التى تدر على الأرض وتسقط عليها أمطارها ، وأما اعتراض بعضهم بأن الطير لا تستسقى ولكنها تستطعم فمردود بأن ذلك جار على عادة العرب فى استعارة هذه اللفظة فى كل طلب تعظيما لقدر الماء قال علقمة :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة ... فحق لشاس من نداك ذنوب

فإن ملك الشام كان قد أسر « شاساً » أخا الشاعر فبعث إليه علقمة بأبيات منها هذا البيت يطلب فيه من الملك أن يفك أسر أخيه (والذنوب : الدلو العظيمة فيها ماء) .

وقال رؤبة : يأيها الماتح دلوى دونكا ... إنى رأيت الناس يحمدونكا

وهما لم يستسقيا ماء وإنما طلب الأول فك الأسر وطلب الثانى مالا وقد سمى المجتدى والسائل مستسقيين وإنما الميح جمع الماتح الماء فى الدلو والماتح الرجل الذى ينزل فى البئر يملأ الدلو .

(١) تكفل المؤلف ببيان وجه الإغراب والإعجاب فيما يأتى وسنورد كلاما لصاحب الوساطة فى هذا المعنى .

(٢) ب ، د ، هـ : به ، حـ : فيه .

(٣) هذان البيتان من قصيدة للنابغة فى مدح الحارث الغسانى مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(٤) روى البيت بروايات مختلفة وكلها لا تخرج عن المعنى المقصود ولهذا لم نر داعياً للإشارة إليها .

(٥) شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية يلقب بصريع الغوانى لقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا ... صريع مجيا الكأس والأعين النجل

توفى سنة ٢٠٨ هـ .

(٦) فى حـ ، د ، هـ : بها .

وقد كرَّره[١] أبو تمام فى شعره ؛ فمما جاء له منه :

وقد ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أعلامِهِ ضُحًى ... بعقبان طير فى الدماء نواهلِ
أقامتْ مع الرَّاياتِ حتى كأنها ... من الجيشِ إلا أنها لم تقاتلِ

وقال[٢] :

إذا ذمت الأعداءُ سوءَ صباحِها ... فليس يؤدّى شكرَها الذئب والنسر

وقد ذَكَرَ هذا المعنى قديمًا وحديثًا وأورده[٣] بضروب من العبارات غيرُ هؤلاء إلاَّ أنهم جاءوا بشىء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السَّبك أو من[٤] جهة الإيجاز فى اللفظ ، ولم أر أحداً أغرب فى هذا الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد ، فقال[٥] :

أشْرَبْتَ أرواحَ العِدا وقلوبَها ... خوفًا فأنفسُها إليكَ تطيرُ
لو حاكمتْكَ فطالبتكَ بذحْلِها ... شهِدَت عليك ثعالبٌ ونُسُورُ

وكذلك فعل أبو الطَّيب ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريقة التى سلكها من تَقَدَّمُه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذى قصدوه ، فأغرب وأبدع ، وحاز الإحسان بجملته ، فصار كأنه المبتدع لهذا المعنى دون غيره . فمما قال فيه :

يُفَدّى أتمُّ الطير عمراً سلاحَهُ ... نسورُ الملا أحداثُها والقشاعِمُ[٦]
وما ضَرّها خَلْقٌ بغير مَخالب ... وقَدْ خُلِقَتْ أسيافهُ والقوائمُ

---

(١) كذا فى ا وفى سائر النسخ : وقال أبو تمام :

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من سائر النسخ . والضمير فى صباحها يعود على الخيل المغيرة وقد تقدم ذكرها فى أبيات سابقة لهذا .

(٣) كذا فى ا ، ب ، وفى سائر النسخ : أوردوه على التنازع وإعمال الأول. وأول من طرق هذا المعنى الأفوه الأودى حيث قال :

وترى الطير على آثارنا ... رأى عين ثقة أن ستمار

(٤) كذا فى ا ، ب ، وفى سائر النسخ : ومن . . .

(٥) فى حـ ، د ، هـ : حيث قال :

(٦) القشاعم : المسنة من النسور .

وقال فى موضع آخر :

وذى لَجَبٍ لا ذو الجناحِ أمامه ... بناجٍ ولا الوحشُ المثارُ بسالمِ [١]
تمر عليه الشمسُ وهى ضعيفة ... تطالعُهُ من بين ريش القشاعمِ
إذا ضوءُها لاقى من الطير فُرْجةً ... تدوَّر فوق البَيْض مثلَ الدراهمِ

وهذه من أعاجيب أبى الطَّيب المشهودة ، ولو لم يكن له من الإحسان فى شعره غيرها لاستحقَّ بها فضيلةَ التَّقديم [٢] .

وقد[٣] تصرف فى هذا المعنى أبو عامر بن أبى مَروان بن شُهَيد الأندلسى* ، فقال :

وتدرى سباعُ الطَّير ان كُماتَهُ ... إذا لَقِيتْ صيدَ الكماةِ سباعُ
تَطيرُ جِياعاً فوقه وتردُّها ... ظُبَاه إلى الأوكار وهْى شِباعُ

وكذلك أخذه أبو بكر العطَّار** فغرَّبه بعد الابتذال ، فقال :

تظل سباعُ الطير عاكفة بهمْ ... على جُثَثٍ قد سَلَّ أنفسها الذُّعْرُ
وقد عَوَّضتهم من قبور حواصلاً ... فيا من رأى ميتا يطير به قَبْرُ [٣]

---

(١) اللجب : اختلاط الأصوات والمراد : وجيش ذى لجب .

(٢) قد وازن صاحب الوساطة بين هؤلاء فقال : وزعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم وأحسن من هذه الزيادة قوله : « فى الدماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات وبذلك يتم حسن قوله : « إلا أنها لم تقاتل » على أن الأفوه الأودى قد فضل الجماعة بأمور : منها السبق وهى الفضيلة العظمى والآخر قوله : « رأى عين » فخبر عن قربها لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر وإنما يكون قربها متوقعاً للفريسة .

وهذا يؤيد المعنى ثم قال : « ثقة أن ستار » ولم يجمع هذه الأوصاف غيره .

فأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ ولم يزد فيفضل وقال أبو الطيب :

سحاب من العقبان . . . فزاد إذ جعلها سحابتين وجعل السحابة السفلى تسقى ما فوقها وهذا غريب .

* ابن شهيد : من أنبغ كتاب الأندلس وشعرائها ، وكان بارعاً فى أسلوب الرسائل القصصية النادرة المثال فى الكتابة العربية وهو صاحب رسالة التوابع والزوابع توفى سنة ٤٢٦ هـ .

** هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم ، أبو بكر العطاء المقرئ (٢٦٥ – ٣٥٤ هـ) كان ثقة من أعرف الناس بالقراءات ، وأحفظهم لنحو الكوفيين ، ترجم له معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٥٠ وبغية الوعاة ص ٣٦

(٣ – ٣) ساقط من سائر النسخ .

وآخرُ القصيدة :

تُحاربُه الأعداءُ وهى عباده (١) وتُدَّ خر الأموالُ وهْى غنائمه
ويستكبرون الدهرَ والدهرُ دونه ويستعظمون الموتَ والموت خادمه
[وإن الذى سمَّى عليًّا لمنصفٌ وإن الذى سمَّاه سيفًا لظالمه
وما كُلّ سيف يقطع الهام حدُّه وتقطع لَزْبات الزّمان مكارمُه (٢)]

حسن(٣) موقعه عنده وقرّبه وأجازه الجوائزَ السنّية ، ومالت نفسه إليه ، وأحبه ، فسلّمه إلى الرُّوَّاض ، فعلّموه الفروسيّة والطراد ، والمثاقفة(٤).

وصحب(٥) سيف الدولة فى عدّة غزوات إلى بلاد الرّوم ، ومنها غزوة الفنا (٦) التى لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وستة أنفار أحدهم المتنبى ، وأخذت (٧) الطرق عليهم الروم ، فجرد سيف الدولة سيفه ، وحمل على العسكر ، وخرّق(٨) الصفوف ، وبدّد الألوف . وحكى الرَّقّى(٩) عن سيف الدولة قال : كان المتنبى يسوق فرسه ، فاعتلقت(١٠) بعمامته . طاقة من الشجر المعروف بأم غَيلان(١١) فكان كلّما جرى الفرس انتشرت العمامة ، وتخيل المتنبى أن الروم قد ظفرت به ، فكان يصيح الأمان ياعِلج (١٢) قال(١٣) سيف الدولة : فهتفتُ به وقلت : أيما عِلج ؟

غزوة الفنا

توهم المتنبى الشجرة رجلا

---

(١) فى هامش هـ عن نسخة « عبيد » .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من « ا » . والهام : الرءوس واحده هامة . اللزبات : الشدائد ، وفى هذا البيت تعليل للشطر الثانى من البيت السابق .

(٣) حسن موقعه : جواب « لما » فى كلام سابق : ولما أنشده قصيدته التى أولها وفاؤكما . . . ص٧١ .

(٤) المثاقفة : المغالبة ، ثاقفه فثقفه « كنصر » : غالبه فغلبه .

(٥) ب : وحكى سيف الدولة تحريف . سائر النسخ : وحكى أنه صحب . . .

(٦) حـ ، د ، هـ : الفتا تحريف . الفنا : مقصور الفناء لأن الغزوة فى فيها الجيش إلا سبعة نفر منهم سيف الدولة .

(٧) هـ : وأخذ .

(٨) هـ : وفرق .

(٩) لعله أبو الحصين الرقى قاضى حلب ، ومن شعراء سيف الدولة .

(١٠) حـ ، د ، هـ : فاعتقلت . تحريف .

(١١) أم غيلان : شجر السمر .

(١٢) العلج : اسم يطلق على غير المسلم من العجم .

(١٣) ب : فقال .

هذه شجرة عَلقت بعمامتك فود أنَّ الأرض غيبته . فقال له ابن خالويه[١] : أيها الأمير أليس أن[٢] ثبت معك حتى بقيت فى ستة أنفار تكفيه هذه الفضيلة ؟

وحُكى أن السَّرى الرَّفاء[٣] حين قصد سيف الدولة أنشده بديهاً :

إنى رأيتُكَ جالساً فى مجلس ... قعد الملوكُ به لدَيْك وقامُوا
فكأنَّك الدهرُ المحيطُ عليهمُ[٤] ... وكأنهم من حولك الأيـــامُ

ثم أنشده بعد ذلك ما كان قاله فيه من الشعر ، وبعد ثلاثة أيام أنشده المتنبى قصيدة قافية ، فأمر له بفرس وجارية ، وأوّلُ القصيدة :

أيدرى الربعُ أىَّ دم أراقَا ... وأىَّ قلوب هذا الركبِ شاقَا [٥]
لنـــا ولأهْله أبـــدًا قلوبٌ ... تَلاقَى فى جسوم ما تَلاقَى [٦]
وما عفَتِ الرياحُ لـــه محلاً ... عفاهُ مَنْ حدا بهمُ وساقَا [٧]
فليتَ هوى الأحبة كان عَدْلا ... فحمَّل كلَّ قلب ما أطاقَا

---

(١) ابن خالويه هو أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوى اللغوى أصله من همذان ودخل بغداد فأدرك أفاضل العلماء بها وانتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر فى فنون الأدب وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه وتوفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ .

(٢) الأصل : أنه .

(٣) هو أبو الحسن بن أحمد الموصلى الشاعر المشهور كان فى صباه يرفو ويطرز فى دكان بالموصل وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، قصد سيف الدولة بحلب وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح الوزير المهلبى ونفق شعره وراج وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان فى التشبيهات والأوصاف ومن شعره يذكر صناعته :

وكانت الإبرة فيما مضى ... صائنـــة وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثقبهـــا جارى

وتوفى بعيد سنة ٣٦٠ هـ .

(٤) حـ ، د ، هـ : لديهم .

(٥) الاستفهام للاستعظام يقول : أيدرى هذا الربع بما فعل من إراقة دمى وما هاج فى قلبى من الشوق بذكر الأحبة ؟

(٦) تلاقى : تتلاقى . وما تلاقى : ما نافية يقول : لنا ولأهله الراحلين قلوب يتلاقى بعضها ببعض وهى متباعدة الجسوم .

(٧) عفت الرياح الأثر : درسته ومحته يقول : إن الريح لم تمح هذا الربع ولكن الذى محاه من ساق الإبل بأهله حتى فارقوه .

نظرتُ إليهمُ والعينُ شكْرَى فصارت كلها للدمع ماقـا [١]
وقد أخذ التمامَ البدْرُ فيهـمْ وأعطانِى من السَّقَمِ المحاقا [٢]
وبين الفَرْع والقدمين نُورٌ يقود بـلا أزِمَّتها النِّيَاقَا [٣]
وطَرْفٌ إنْ سَقَى العُشَّاق كأساً بها نَقْصٌ سَقَانِيها دِهاقَا [٤]

قال[٥] : فلما قال :

وخَصْرٌ تثبتُ الأبصارُ فيـه كأنَّ عليه منْ حَدَقٍ نِطَاقا

• فقال السَّرِىّ هذا والله معنَى ما قَدَّر عليه المتقدمون. وما[٦] يقال من أنه حُمَّ فى الحال حسداً ، وتحامَلَ إلى منزله ، ومات بعد ثلاثة أيام ، فلا صحة له ، لأن السَّرِىّ مات بعد المتنبى وسيف الدولة . على أن السرىّ قد استعمل هذا المعنى بقوله[٧] :

أحاطتْ عيُون العاشقين بخَصْرِه فهنَّ له دون النطاقِ نِطَاقُ

وحكى صاحب المفاوضة[٨] قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبى العبَّاس النامِى[٩] الشاعر ميلا شديداً إلى أنْ جاءه المتنبى ، فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك

---

(١) شكرى : ملأى بالدمع . د : سكرى . تحريف . الماق : طرف العين مما يلى الأنف .
(٢) المحاق : مثلثة الميم آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره .
(٣) الفرع : الشعر . والمراد بالنور وجه الحبيبة .
(٤) دهاقاً : ممتلئة . وأراد أن طرفه يبعث على سكر الهوى فشبهه بالخمر واستعار له كأساً والمعنى أنه أعشق العشاق .
(٥) « قال » عن حـ ، د ، هـ . ◦ لا يستقيم الأسلوب مع الفاء .
(٦) « وما يقال من أنه حم فى الحال » كذا فى الأصل وصوابه: وما يقال . . . وفى سائر النسخ ثم إنه حم فى الحال . . .
(٧) حـ : على أن السرى قد استعمله .
سائر النسخ : على أن السرى قد استعمله بقوله .
(٨) صاحب المفاوضة : أبو الحسن محمد بن على بن نصر المالكى عاش فى نهاية القرن الرابع وأول الخامس الهجرى وصنف كتاب المفاوضة للملك العزيز جلال الدولة كما فى كشف الظنون ص ١٧٥٨ حـ ٢ .
(٩) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى المعروف بالنامى كان من الشعراء البارزين فى عصره ، ومن خواص مداح سيف الدولة ، وكان يلى أبا الطيب فى المنزلة والرتبة وله معه وقائع ومفاوضات . توفى سنة ٣٧٠ هـ على المشهور .

أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال : أيها الأمير ، لِم تفضل[١] علىّ ابن عِيدان السقا ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلجّ وألحّ ، وطالبه بالجواب فقال : لأنك لا تحسن أن تقولَ كقوله :

يعودُ من كل فتـــح غيرَ مفتخرٍ وقد أغذَّ إليه غيرَ محتفلِ[٢]

فنهض من بين يديه مُغْضَبًا ، واعتقد[٣] ألاّ يمدحه أبداً . وأبو العباس هذا هو القائل :

حسد النـــاس المتنبى

كان قد بقّى فى الشعر زاوية دخلها المتنبى ، وكنت أشتهى أن أكون سبقته إلى معنيين قالهما ما سُبق إليهما . أما أحدهما فقوله :

رَمَانى الدّهرُ بالأرزاءِ حتّى فُـــؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرتِ النصالُ على النّصالِ[٤]

والآخر قوله :

فى جحفل[٥] ستر العيون غُبارُه فكأنما يُبْصـــرنَ بالآذانِ

واسْتَنْشَدَ سيف الدولةِ أبا الطّيب يوما قصيدته التى مدحه بها ، وقد سار لبناء الحَدَث[٦] ، وذكر إيقاعه بالدُّمُسْتق عليها[٧] وكشفه له ، وقتله

---

(١) كذا فى الأصل وفى سائر النسخ : الأمير لم يفضل غير ب فإنها : تفضل .

(٢) كذا فى الديوان وقد حرف البيت فى جميع النسخ .

(٣) اعتقد ألا يمدحه : عاهد نفسه .

(٤) كذا فى الأصل والديوان وروى فى سائر النسخ بروايات مختلفة وهو وما قبله من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة مطلعها :

نعـــد المشرفيـــة والعـــوالى وتقتلنـــا المنون بلا قتال

(٥) كذا فى ا والديوان وهامش ه عن نسخة . وفى سائر النسخ « محفل » .

والبيت فى وصف الخيل يقول : إن الغبار الذى أثارته الخيل بحوافرها قد منع أبصارها أن تبصر فهى تسمع الأصوات بآذانها وتفعل ما يقتضيه الصوت فكأنها تبصر بآذانها .

(٦) الحدث : بلد بالروم كان أهلها قد سلموها لأمير الروم (الدمستق) وقائد جيوشها بالأمان فسار إليها سيف الدولة ليستردها ويبنى قلعتها فنزلها يوم الأربعاء ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٣٤ هـ وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق فحمل عليه سيف الدولة فى خمسة آلاف من جنده فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً وأقام حتى بنى الحدث وفرغ من ذلك يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ٤٣٣ هـ فقال المتنبى هذه القصيدة يمدحه بها .

(٧) « عليها » ساقطة من سائر النسخ ولعله يريد الوالى عليها .

خلقاً من أصحابه وأسْرَه صِهْرَه وابنَ بنته ، وإقامته على الحَدَث إلى أن بناها ، وذلك فى يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وأولها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ ... وتأتى على قدر الكرامِ المكارمُ
وتعظُمُ فى عينِ الصغير صِغارُها ... وتصغر فى عين العظيم العظائمُ

ومنها [١] :

هل الحَدَث الحمراء تعرفُ لونَها ... وتعلمُ أىُّ الساقيَيْن الغمائم[٢]
سقَتْها الغَمامُ الغُرُّ قبل نزوله ... فلما دَنَا منها سقتها الجماجمُ
بناها فأعلى[٣] والقنا يقرعُ القَنَا ... وموجُ المنايا حولها متلاطِمُ
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحتْ ... ومن جُثَث القتلى عليها تمائم[٤]
طَريدةُ دهرٍ ساقها فرَددْتها ... على الدين بالخَطّىّ والدهر راغم
تُفيتُ الليالى كلَّ شىء أخَذْتَه ... وهن لما يأخذنَ منك غوارم[٥]
إذا كان ما تنويه فعلا مضارعًا ... مضى قبل أن تُلْقَى عليه الجوازم[٦]
وكيف ترجّى الرومُ والروسُ هدمَها ... وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائمُ
وقد حاكموها والمنايا حواكمٌ ... فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالمُ
أتَوْك يَجُرُّون الحديدَ كأنما ... سَرَوْا بجياد ما لهن قوائمُ

---

(١) كذا فى : ا وهى ساقطة من سائر النسخ ووجودها أفضل لأن الأبيات غير متتابعة .

(٢) فى قوله : « أى الساقيين الغمائم » ما يسمى بالاكتفاء أراد أى الساقيين الغمائم أم الجماجم فحذف الأخير اكتفاء بالأول ومعنى البيت : هل تعرف هذه القلعة لونها الأول قبل أن لونت بالدم وهل تعلم أى الساقيين لها أجماجم الروم التى سقتها بالدم أم السحائب التى سقتها قبل ذلك بالمطر يعنى أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء .

(٣) الديوان وهامش ه عن نسخة : فأعلى وجميع النسخ : علىّ

(٤) قال أبو الطيب : ما رد على أحد شيئاً فقبلته إلا سيف الدولة فإنى أنشدته :
ومن جيف القتل . . فقال : مَهْ قل : ومن جثث القتلى ...

(٥) المعنى : إذا سلبت الليالى شيئاً أكرهتها على تركه لضعفها عن استرداده منك وهى إذا أخذت منك شيئاً غرمته لأنك ترغمها على رده .

(٦) المعنى : إذا نويت فعلا فى المستقبل تحقق حتى كأنه ماض من غير أن يضم إليه شىء يحوله إلى الماضى فلو أنك نويت فعلا مضارعاً خالصاً للاستقبال لتحول زمنه إلى المضى من غير أن تسبقه علامة جزم تحوله إلى المضى كحرف لم والمتنبى هنا يتخذ من النحو وسيلة إلى تصوير بعض معانيه ، وهو مذهب جرى عليه المحدثون ، ولا بأس بالقليل منه لطرافته .

إذا بَرَقوا لم تُعْرَفِ البيضُ منهمُ ثيابُهُمُ من مثلها والعمائمُ
خَميسٌ بِشرقِ الأرضِ والغربِ زحفُه وفي أذُنِ الجوزاءِ منه زَمازِمُ
تجمَّعَ فيه كلُّ لِسْنٍ وأمَّةٍ فما يُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلاّ التَّراجِمُ
فلله وقتٌ ذَوَّبَ الغشَّ نارُهُ فلم يَبْقَ إلا صَارِمٌ أو ضُبَارِمُ
تقطعُ ما لا يَقْطَعُ الدرْعَ والقنا وفرٌّ من الفُرْسانِ من لا يُصادِمُ

* وهذه الأبيات الأخيرة من أحسنِ ما قيل في الجيوشِ الكثيرة، وكذلك ورد قول أبي تمام من قصيدة يمدح بها المأمون :

فنهضتَ تسحبُ ذيلَ جيشٍ ساقَهُ حُسنُ اليقينِ وقادهُ الإقدامُ
مُثعنْجِرٌ لَجِبٌ ترى سُلاَّفَهُ ولهم بمُنْخَرَقِ الفضاءِ زِحامُ
ملأَ المَلاَ عُصَبًا فكاد بأن يُرَى لا خَلْفَ فيه ولا لَهُ قُدَّامُ

يقال : اثعنجرتِ العين دمعًا ، واثعنجر دَمْعُها ، وهو انصباب الدمع وتتابعه ، ولَجِب كثيرِ الأصوات ، والسلاَّف : المتقدمونَ ، والملا مقصوراً : ما اتسع من الأرض .

وقال النَّابغة[1] في عظم الجَيش :

بِبَحْرٍ يظل له الفضاء مُعَضَّلا يَذَرَ الإكامَ كأنهنَّ صحارِي

ومُعضَّل : من قولهم عَضَّلَتِ المرأة عند الولادة : إذا عَسُرَ خروج الولد .

وقال مالك المازني[2] :

بجيشٍ لُهامٍ يشغلُ الأرضَ جمعُهُ على الطَّيرِ حتى ما يَجِدن منازلاَ[3]

---

* ابتداء من هذا النجم زيادة من الأصل .

(١) يريد به النابغة الذبياني من كبار الشعراء في الجاهلية ، والبيت من قصيدة يهجو بها زُرعة بن عمرو لما بلغه أن زرعة يتوعده ، وفي بعض نسخ الديوان : جمعا بدل بحر .

(٢) مالك المازني هو مالك بن الريب من مازن تميم كان ظريفاً أديباً فاتكاً واتصل بسعيد بن مروان وغزا معه في خراسان وبها مات ، وهو القائل في رثاء نفسه قبل أن يموت بسنة قصيدته المشهورة التي أولها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

وهي من أروع مراثي العرب .

(٣) جيش لهام : كثير يلتهم كل شيء .

وقال البحترى :

بجمع تَرَى فيه النهارَ قَبيلةً إذا سار فيه والظلامَ قبائلا[١]

وقال سَلْم الخاسر[٢] :

وكتائب تغشى العيُون إذا جَرَى ماءُ الحديدُ عليهمُ الرَّجْرَاجُ
وتفرقت زُرْقُ الأسنة فيهمُ تسقِى الحنايا ما لهنَّ مِزَاجُ
نزلتْ نجومُ الليل فوق رءوسهم ولكل رأس كوكبٌ وَهَّاجُ

وقال مُسلم :

فى عسكر تشرَق الأرضُ الفضاءُ به كالليل أنجُمُه القُضْبان والأسَلُ *

انتقاد سيف الدولة على المتنبى

ولما بلغ المتنبى إلى قوله[٣] :

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقف كأنك فى جَفْن الرَّدى وهْوَ نائمُ
تمرُّ بكَ الأبطال كَلْمَى هَزيمةً ووجهُك وضَّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ[٤]

قال سيف الدولة : قد انتقدتُهما عليك كما انْتُقد على امْرِئ القيس قوله :

كأنِّى لم أركبْ جَوادًا لِلذَّة ولم أتبطَّنْ كاعبًا ذات خَلْخال[٥]
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِى ولم أقُلْ لخيلى كُرِى كَرَّةً بعد إجفال[٦]

فبَيْتاك لم يلتئمْ شطراهما ، كما لم يلتئمْ شطرا بيتى امرئ القيس ، وكان

---

(١) من معانى القبيلة : جزء الشىء الذى قد ينفصل عنه . يقول : إن النهار مع عظمه جزء من هذا الجيش وإن الظلام أجزاء منه .

(٢) سلم الخاسر هو سلم بن عمرو الحميرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى والبرامكة ولقب بالخاسر لأنه كما يقال باع مصحفاً واشترى به ديوان شعر ، وكان جيد الشعر رقيقه .

* ما بين النجمين فى هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ .

(٣) فى سائر النسخ : « قلما بلغ إلى قوله »

(٤) كلمى : مكلومة أى جريحة جمع كليم والبيت من قول مسلم :

يفتر عند اقتراب الحرب مبتسما إذا تغير وجه الفارس البطل

(٥) أتبطن : أحتضن .

(٦) سبأ الخمر : اشتراها . الزق : وعاء الخمر . الروى : الذى يروى ويشبع . الإجفال : النفور .

ينبغى له أن يقول :

كأنىَ لم أركَبْ جواداً ولم أقُلْ ... لخيلىَ كُرِّى كَرَّة بعد إجفَال
ولَمْ أسْبأ الزقَّ الرَّوىَّ للذَّةٍ ... ولم أتبَطَّنْ كاعباً ذَاتَ خَلْخال

وكذلك كان ينبغى أن تقول :

وقفتَ وما فى الموت شَكٌّ لواقف ... ووجْهك وضَّاحٌ وثَغْرك باسمُ
تمر بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً ... كأنَّك فى جَفْن الرَّدى وهْوَ نائمُ

فقال المتنبى : إن صحَّ أن الذى اسْتَدْرَكَ على امرئ القيس هذا هو[1] أعلم بالشعر منه[1] فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب[2] لا يَعْلَمُه البزَّاز كما يَعْلَمه الحائك لأن البزاز يعلم جملته ، والحائكُ يعلم تفاصيله ، وإنما قَرَن امْرُؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، والشجاعة فى منازلة الأعداء بالسماحة فى شراء الخمر للأضياف للتضايف بين كل من الفريقين[2] ، وكذلك لما ذكرت الموت فى صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى فى آخره ليكونَ أحسن تلاؤماً[3] ، ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوساً ، وعينه باكية قلت : (ووجهك وضاح وثغرك باسم) ، لأجمع بين الأضداد فى المعنى . فأعجبَ سيفَ الدولة كلامُه[4] .

قال ابنُ جنىّ : حدثنى أبو على الحسينُ بن أحمد الفَسَوىُّ قال : خرجتُ بحلَبَ أريد دارَ سيفِ الدَّولة ، فلما برزتُ من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوى برمح طويل ، وسدَّده إلى صَدْرى ، فكدْتُ أطْرح نفسى عن الدابَّة ، فحَسَرَ لِثامه ، فإذا المتنبى ، وأنشد :

(١ – ١) حـ ، د : « وهو أعلم بالشعر منى » .

(٢ – ٢) كذا وردت العبارة فى جميع النسخ غير حـ ففيها اضطراب وتحريف وقد أوردها العكبرى كذلك .

(٣) سائر النسخ : تلازما .

(٤) زاد بعض النسخ المطبوعة بعد قوله : « فأعجب سيف الدولة كلامه » هذه العبارة : ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار .

نثرتُ رءُوسًا بالأحَيْدب منهمُ كما نُثرتْ فوق العَروس الدراهمُ[١]

ثم قال : كيف هذا القول ؟ أحَسَنٌ هو ؟

فقلت : ويْحَك : قد قَتَلْتنى يا رجل . قال ابن جِنّى : فحكيتُ هذه الحكايَةَ لأبى الطيب بمدينة السلام ، فعرفها ، وضحك منها] *

ما جرى بين المتنبى وبين ابن خالويه

قال[٢] ابن بَابَك[٣] : حضر المتنبى مجلس أبى أحمد بن نصر البازيار[٤] ، وزير سيف الدولة ، وهناك أبو عبد الله بن خالويه[٥] النحوىّ ، فتماريا فى أشْجَعَ السلمِىّ[٦] وأبى نواس البصرىّ ؛ فقال ابن خالويه : أشْجَعُ أشعر ، إذا قال فى هارون الرشيد[٧] :

وعلى عَدُوِّك يابْنَ عمّ محمد رَصَدان : ضَوْءُ الصبح والإظلامُ
فإذا تَنَبَّه رُعْتَهُ وإذا غفا سَلَّتْ عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

فقال المتنبى : لأبى نواس ما هو أحسن فى بنى بَرْمَكَ[٨] :

لم يَظْلِمِ الدهرُ إذ توالتْ فيهمْ مُصِيباتُهُ دِرَاكَا
كانوا يُجيرونَ مَنْ يُعادِى مِنهُ فعاداهُمْ لِذَاكَا

---

(١) هذا البيت من الميمية السابقة : على قدر أهل العزم . . . والمخاطب به سيف الدولة ونصه كما فى الديوان :

نثرتهم فوق الأحيدب كله كما نثرت فوق العروس الدراهم

والضمير فى : نثرتهم يعود على جيش الروم والأحيدب : جبل . وكأن المتنبى قد أجرى البيت على لسانه مدحاً لنفسه .

* ما بين المعقوفين فى هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ .

(٢) سائر النسخ : وقال . بزيادة واو .

(٣) هو أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك أحد الشعراء المجيدين المكثرين توفى ببغداد سنة ٤١٠ هـ وقد لقى المتنبى فى حلب حينما كان المتنبى مختصاً بسيف الدولة .

(٤) كان وزير سيف الدولة ونديمه وأصله من خراسان مات بحلب فى حياة سيف الدولة سنة ٣٥٢هـ.

(٥) تقدمت ترجمته فى ص ٧٩ .

(٦) شاعر عباسى نشأ بالبصرة معدود من الفحول وقد انقطع إلى البرامكة ومدحهم وبهم اتصل بالرشيد وله فيه المدائح السنية .

(٧) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه بويع بالخلافة سنة ١٧٠ هـ وتوفى بطوس سنة ١٩٣ هـ .

(٨) هم من أهل فارس عميدهم خالد بن برمك وابنه يحيى وولده الفضل وجعفر اللذان وزرا للرشيد وقد ذاع صيت البرامكة فى الكرم والفصاحة والفضل حتى خيف على الدولة من نفوذهم فقتلهم الرشيد .

الأسباب التى أوجبت مفارقته سيف الدولة

قال عبدُ المحسن علىّ ابن كوجَك[١] : إن أباه حدثه قال : كنتُ بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوىُّ[٢] ، وأبو الطيب المتنبى ، وأبو عبد الله بن خالويه النحوىّ ، وقد جَرَتْ مسألة فى اللغة تكلم فيها ابنُ خالويه مع أبى الطيب اللغوىّ ، والمتنبى ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ، فتكلم فيها بما قَوَّى حجة أبى الطيب اللغوىّ ، وضعَّف قول ابن خالويه .

فأخرجَ من كُمه مِفتاحاً حديداً ليلكُمَ به المتنبى ، فقال له المتنبى : اسكت ويْحَك ، فإنك أعجمىّ ، وأصلُك خُوزىّ[٣] ، فما لك وللعربية ؟ فضرب وجه المتنبى بذلك المِفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبى من ذلك ، إذ لم ينتصر له سيْف الدولة لا قولاً ولا فعلا ، فكان ذلك أحدَ أسباب فِراقِه سيفَ الدولة .

قال ابن الدَّهان[٤] فى المآخذ الكِنْديَّة من المعانى الطائية : إنه قال أبو فراس[٥] لسيف الدولة : إن هذا المتمشدق[٦] كثير الإدلال عليك ، وأنتَ تعطيه كل

---

(١) حـ ، د ، هـ : كيوجك ، ب : عبد المحسن بن على بن كوجك . مات سنة ٤١٦ هـ ، وقد روى معلومات عن أبيه الذى مات سنة ٣٥٩ هـ والذى عرف المتنبى شخصياً فى حلب .

(٢) أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد بن على الحلبى صاحب التصانيف الجليلة أصله من عسكر مكرم قدم حلب وأقام بها إلى أن قتل فى دخول الدمستق سنة ٣٥١ هـ .

(٣) الخوز : أهل خوزستان ونواحى الأهواز بين فارس والبصرة وواسط ، ويقال إن معنى الخوز الفعلة ، ويقال إنهم ألأم الناس وأسقطهم نفساً . روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث إلى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزى . وروى عن على أنه قال ليس فى ولد آدم شر من الخوز . ولم يكن منهم نجيب . ياقوت .

(٤) ابن الدهان هو أبو محمد سعيد بن المبارك البغدادى كان عالماً فاضلا نبيلا ، له معرفة كاملة بالنحو ، وباع مبسوطة فى الشعر (٤٩٤ – ٥٦٩) هـ وتوفى بالموصل وله كتاب اسمه الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية من المعانى الطائية ، ويريد بالمآخذ الكندية ما سرقه أبو الطيب المتنبى وسماها الكندية لأن المتنبى كندى ويريد بالمعانى الطائية معانى أبى تمام لأنه طائى . وهذه الرسالة مفقودة كبقية كتبه .

(٥) أبو فراس من أسرة بنى حمدان وابن عم سيف الدولة وكان فريد عصره فى الأدب والكرم والشجاعة ، وله شعر جيد سهل . وقال الصاحب بن عباد : بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنى بالأول امرأ القيس وبالثانى أبا فراس ، وكان المتنبى يشهد له ويخشاه ، مات قتيلا سنة ٣٥٧ هـ .

(٦) حرفت فى سائر النسخ .

سنة ثلاثة آلاف دينار ، عن[١] ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وعمل فيه ، وكان المتنبى غائبًا ، وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة ، وأنشد :

آلا ما لسيفِ الدولةِ اليومَ عاتبا ... فَداه الورى أمضَى السيوفِ مَضاربًا
ومالى إذا ما اشتقتُ أبصرتُ دونَه ... تنائفَ لا أشتاقُهنَا وسباسبا[٢]
وقد كان يُدْنى مَجْلِسى من سمائه ... أحاديثُ فيها بدرُها والكواكبا
حنانَيْك مسئولا ولبّيك داعيًا ... وحسبىَ موهوباً وحسبُكَ واهبًا[٣]
أهذا جزاءُ الصدقِ إن كنتُ صادقًا ... أهذا جزاء الكذْب إنْ كنتُ كاذبا
وإن كان ذنبى كلَّ ذنب فإنه ... محا الذَّنبَ كلَّ المحومن جاء تائبًا[٤]

فأطرقَ سيفُ الدولة ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج المتنبى من عنده متغيرًا ، وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الوقيعة فى حق المتنبى ، وانقطع بعمل القصيدة التى أولها :

واحر قلباهُ ممّن قلبه شَبِمُ ... ومَنْ بجسمى وحالِى عنده سَقَمُ[٥]

---

(١) أ ، ب : عن . حـ ، د ، هـ : على .

(٢) التنائف جمع تنوفة وهى المفازة الواسعة . السباسب : الفلوات .

(٣) حنانيك : كلمة استعطاف أى حناناً بعد حنان .

(٤) جاء فى ديوان المتنبى طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر فى سبب إنشاد هذه القصيدة كلام طويل نجمله فيما يأتى : كان سيف الدولة يغضب إذا تأخر عنه مدح المتنبى ؛ فكان يغرى من يتعرض له بما لا يحب ، وكان المتنبى يقابل هذا بالإعراض والمبالغة فى التمنع فيزيد ذلك من غيظ سيف الدولة ، ولما زاد الأمر وتكرر هذا الفعل إضطر المتنبى أن ينشد سيف الدولة فى محفل من العرب والعجم قصيدته التى مطلعها :

واحر قلبـاه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(وستأتى بعد) وفيها من الإدلال ، والفخر بنفسه ، والتعريض بشانئيه ما زاد حفيظتهم عليه حتى قال أحدهم لسيف الدولة : اتركنى أسعى فى دمه ، ثم أرصدوا له رجلا ليغتالوه ، ولكنه نجا منهم بشجاعته ، فاستعانوا بأبى العشائر فأرسل عشرة من غلمانه وقفوا بباب سيف الدولة ، وأرسلوا إلى أبى الطيب على لسان سيف الدولة ليحضر لعلهم يظفرون به ، ولكنه نجا أيضاً ، واتصل فى اليوم الثانى بسيف الدولة الذى أظهر أنه لم يكن على علم بكل ما دبر للمتنبى وأنشده هذه القصيدة : « آلا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا »

(٥) شبم : بارد . ومعنى البيت : أنه يندب حظه مع من لا يأبه له مع شغفه به ويقول :

إنه عليل الجسم لفرط ما يعانى سقيم الحال عنده لفساد اعتقاده فيه

وجاء وأنشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه كقوله :

مالى أكتّمُ حُبًّا قدْ برى جَسَدى ٭ وتدّعى حبّ سيف الدّولة الأمم
إن كان يجمعنا حُبٌّ[1] لغُرَّته فليت أنّا بقدر الحبّ نقتسمُ
قد زرتُهُ وسيوفُ الهندِ مُغْمَدَةٌ وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دَمُ

فهم جماعة بقتله فى حضرة سيف الدولة ؛ لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه ، فلما وصل فى إنشاده إلى قوله :

يا أعدلَ الناسِ إلاّ فى معاملتى فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

ما جرى بين المتنبى وأبى فراس

فقال أبو فراس : مسخَ قول دِعبل[2] وادّعيته وهو :

ولستُ أرجو انتصافاً منك ما ذَرَفَتْ عينى دموعاً وأنتَ الخصمُ والحكَمُ

فقال المتنبى :

أعيذُها نظراتٍ منكَ صادقةً أن تحسَبَ الشحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ

فعلم أبو فراس أنه يعنيه ؛ فقال : ومن أنت يا دَعِىَّ كِنْدة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير فى مجلسه ؟ فاستمر المتنبى فى إنشاده ولم يردّ إلى أن قال :

سيعلمُ الجمعُ ممن ضمّ مجلسُنا بأنى خيرُ من تسعى به قَدَمُ
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعتْ كلماتى مَن به صممُ[3]

فزاد ذلك غيظاً فى أبى فراس ، وقال : سرقتَ هذا من عمرو بن عُروة بن العبد[4] فى قوله :

أوضحتُ من طُرُق الآداب ما اشتكلتْ دهرًا وأظهرتُ إغرابا وإبداعا

---

(١) ا ، ب ، حـ : إن كان يجمعنا حبا . . .

(٢) كان شاعراً جيد الشعر مولعاً بالهجاء ، ولد بالكوفة وأقام ببغداد وتوفى سنة ٢٦٤ هـ .

(٣) كان المعرى إذا أنشد هذا البيت قال : أنا الأعمى . . .

(٤) عمرو بن عروة بن العبد الكلبى : ذكره العميدى فى الإبانة ص ٥ ، ولم نعثر على هذا الاسم بنصه وإنما رأينا فى معجم الشعراء ص ٢٣٨ من اسمه : عمرو بن عروة بن الفداء الكلبى الإجدارى ، ولا ندرى أهو المقصود أم غيره ؟

حتى فتحتُ بإعجاز خُصِصْتُ به للعُمْىِ والصُّمِّ أبْصاراً وأسْماعَا

ولما وصل إلى قوله :

والخيلُ والليلُ والبيْداء تعرفنى والحرب والضرب والقرطاسُ والقلمُ [1]

قال أبو فراس : وما أبقيتَ للأمير ، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة ، والرياسة والسماحة ، تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من [قول] [2] الهيثم بنِ الأسود النَّخَعِىّ الكُوفىّ المعروف بابن العريان العثمانى [3] ، وهو :

أعاذلتى كم متهمه قد قطعتُهُ أليفَ وُحوش ساكناً غيرَ هائبِ
أنا ابنَ الفلا والطعنِ والضربِ والسُّرَى وجُرْدِ [4] المَذاكِى والقَنا والقواضبِ
حليمٌ وَقورٌ فى البوادى [5] وهيبتى لها فى قلوب الناس بطشُ الكتائبِ

فقال المتنبى :

وما انتفاعُ أخِى الدُّنيا بناظره إذا استوتْ عندَه الأنوارُ والظُّلَمُ

قال أبو فراس : وسرقت هذا من مَعْقِل العِجْلىّ [6] ، وهو :

إذا لم أُمَيِّز بين نورٍ وظُلْمة بعينىَّ فالعَينان زُورٌ وباطِلُ

ولمحمد [7] بن أحمد بن أبى مرة المكى مثله ، وهو :

إذا المرءُ لم يدركْ بعينيه ما يُرَى فما الفرق بين العُمْىِ والبُصَرَاء

---

(١) الديوان : والسيف والرمح والقرطاس والقلم . وقد سبقه أبو عبادة إلى هذا المعنى فقال :

اطلبــا ثالثــاً سواى فإنى رابع العيس والدجى والبيــد

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) كان إلى شاعريته من رواة الحديث (ذكره الخزرجى فى الخلاصة) .

(٤) سائر النسخ : جود المذاكى . تحريف .

(٥) حـ ، د ، هـ : البلاد .

(٦) معقل العجلى : هو معقل بن عيسى أخو أبى دلف العجلى قال عنه ابن النديم : شاعر مقل (الفهرست ٢٣٤ طبعة مصر) وانظره فى الإبانة للعميدى ١٨ ، ٣٣ .

(٧) هـ : ومحمد بإسقاط اللام قبله وهو شاعر متوكلى يلقب بشمروخ وأكثر شعره فى الغزل . انظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٣٨ .

وغضبَ[١] سيفُ الدولة من كثرة مناقشته فى هذه القصيدة ، وكثرةِ دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التى بين يديه ، فقال المتنبى فى الحال :

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسدُنا ... فما لجرْحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

فقال أبو فراس : أخذتَ هذا من قول بشار[٢] :

إذا رضيتُمْ بأن نُجْفَى وسَرَّكُمُ ... قَولُ الوُشاةِ فلا شَكْوَى ولاضَجَرُ

ومثله لابن الرومى[٣] وهو :

إذا ما الفجائعُ أكسبنى رضاك ... فما الدهرُ بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قاله أبو فراس ، وأعجبه بيت المتنبى ، ورضى عنه فى الحال ، وأدناه إليه ، وقبَّل رأسه ، وأجازه بألف دينار ، ثم أردفهُ بألف أخرى ، فقال المتنبى :

جاءتْ دنانيرُك مختومةً ... عاجلةً ألفًا على ألْفِ
أشْبَهَها فعلُكَ فى فَيْلَقٍ ... قلبتَهُ صفًّا على صَفِّ *

وفى آخر هذه[٤] القصيدة يقول :

شر البلادِ مكانٌ لا صديق به ... وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ
وشَرُّ ما قنصتْهُ راحتى قَنَصٌ ... شُهْبُ البُزَاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

البيت[الثانى[٥]]مأخوذ من أبيات لصاحب العَلَوىّ الداعى بطبرَسْتان :

أنا من جناب سواك فى مَرْعًى نَدٍ ... وأقيمُ عندكَ فى جنابٍ مُجْدِبِ
إن كنتَ ذا بصر فميِّزْ فضلَ ما ... بين الفَراء وبين صيدِ الأرنبِ

---

(١) حـ ، هـ : فغضب .

(٢) شاعر مشهور أجمعت الرواة على تقدمه طبقات المحدثين المجيدين من الشعراء وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية توفى سنة ١٦٧ هـ .

(٣) هو الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب كان إذا أتى بمعنى لا يتركه حتى يستوفيه توفى سنة ٢٨٣ هـ .

* أغلب ظننا أن فى هذه القصة مبالغة مصنوعة .

(٤) « هذه » ساقطة من : حـ ، د ، هـ .

(٥ ، ٥) جميع النسخ الأول فى مكان الثانى والثانى فى مكان الأول ولكن الشاهدين المذكورين فى =

فجعل موضع الفَرَاء الباز الأشهب، وموضع الأرنب الرخم، [الأول][٥] من قول محمد بن عُيَيْنة المهلبيّ من قصيدة أولها :

* دُمْيةٌ قَفْرةٌ وربعٌ جديبُ *

لا تثق بالكذوب واعلمْ يقينا ... أن شر الرجال عندى الكذوبُ
لى وفاء مَحْضٌ وكف جواد ... وجلالٌ باد ورأىٌ صَليبُ
أخبثُ الأرض ما خلتْ من صديق ... وأضرُّ الأفعال فعلٌ مَعيبُ

تعاظم المتنبى مع دناءة نفسه

وحكى أبو الفرج الببغاء[١] قال : كان أبو الطيب يأنس بى ، ويشكو من سيف الدولة ، ويأمنى على غِيبته له ، وكانت الحال[٢] بينى وبينه عامرةٌ دون باقى الشعراء ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظمه ، ويجفو عليه إذا كلمه ، والمتنبى يجيبه فى أكثر الأوقات ، ويتغاضَى فى بعضها . قال أبو الفرج الببغاء : وأذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بَدْرة[٣] فشقها بسكين الدواة ، فقد أبو عبدالله ابن خالويه طَيْلَسانَهُ فحثا[٤] فيه سيف الدولة صالحاً[٥] ، ومددتُ ذيل دُرَّاعتى[٦] فحثا لى جانباً ، والمتنبى حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا ، فما فعل ، فغاظه ذلك ، فنثرها كلها على الغلمان ، فلما رأى المتنبى أنها قد فاتته زَاحَمَ الغلمان يلتقط معهم ، فغَمزَهم عليه سيف الدولة ، فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته فى رقبته ، فاستحيَى ومضت به ليلة عظيمة ، وانصرف فخاطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة فى ذلك ، فقال : يتعاظم تلك العظمة ، وينزل إلى مثل هذه المنزلة لولا حماقتُهُ .

= المثالين يدلان على العكس . والفراء بفتح الفاء حمار الوحش .

(١) أبو الفرج الببغاء : هو عبد الواحد بن نصر المخزومى الشاعر المشهور والكاتب المجيد – كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية مات سنة ٣٩٨ هـ . وكان صديقاً للشاعر .

(٢) « الحال » ساقطة من بقية النسخ .

(٣) البدرة : عشرة آلاف درهم .

(٤) حثا : من باب عدا ورمى يقصد أنه حفن له .

(٥) صالحاً : أى قدراً صالحاً .

(٦) الدراعة : ثوب من صوف .

وحكى أن أبا الطيب المتنبّ دخل مجلس ابن العميد [١] ، وكان يستعرض سيوفًا ، فلما نظر أبا الطيب نهض من مجلسه ، وأجلسه فى دَسته ، ثم قال له : اخترسيفًا من هذه السيوف ، فاختار منها واحداً ثقيلَ الحِلَى ، واختار ابن العميد غيره . فقال كل واحد منهما : سيفى الذى اخترته أجود ، ثم اصطلحا[٢] على تجربتهما . فقال ابن العميد : فبماذا نجربهما ؟ قال أبو الطيبَ فى الدنانير يؤتى بها ، فَيُنْضد بعضها على بعض ، ثم يضرب به ، فإن قدّها فهو قاطع ؛ فاستدعى ابنُ العميد عشرين ديناراً فَنُضِّدت ، ثم ضربها أبو الطيب فقدّها ، وتفرقت فى المجلس ، فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد : ليلزم الشيخ مجلسه ، فإن أحد الخُدّام يلتقطها ويأتى بها إليك. فقال : بل صاحب الحاجةِ أولى . وحكى أبو بكر الخُوَارَزْمِىّ أن المتنبى كان قاعداً تحت قول الشاعر :

وإن أحقّ الناس باللّوم شاعرٌ يلومُ على البخل الرجالَ ويبخلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله :

بليتُ بِلَى الأطلال إنْ لم أقفْ بها وقوفَ شحيح ضاع فى التُّرب خاتَمُه

قال : وحضرتُ عنده يومًا وقد أحضِرَ مالٌ[٣] بين يديه من صِلات سيف الدولة على حَصِير قد فرشه ، فوُزِنَ وأعيد إلى الكيس ، وتخلّلت قطعة كأصغر ما يكون خِلال[٤] الحصير ، فأكبَّ عليها بمجامعه يعالج[٥] ليستنقذها منه ، واشتغل عن جلسائه حتى توصل إلى إظهارها ، وأنشد قول قيس بن الخطيم[٦] :

---

(١) ابن العميد هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبغ فى الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم ، وقد برز فى الكتابة حتى صار صاحب مدرسة فى الإنشاء وحتى قيل : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) حـ : ثم اصطلحوا . هـ : واصطلحوا .

(٣) سائر النسخ : أحضر مالا .

(٤) حـ ، د ، هـ : بين خلال .

(٥) ساقطة من : حـ ، د ، هـ .

(٦) قيس بن الخطيم شاعر جاهلى كان يعاصر حسان بن ثابت ، وكان حسان شاعر الخزرج ، وقيس شاعر الأوس ، وكان جيد الشعر شهد له شعراء عصره بالإجادة والتقدم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات قبل الهجرة .

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدَا حاجبٌ منهـا وضَنَّتْ بحاجِب

ثم استخرجها ، فقال له بعض جلسائه : أما يكفيك ما فى هذه الأكياس حتى أدميتَ إصبعك لأجل هذه القطعة ؟ فقال : إنها تُحْضر المائدة .

وحكى علىّ بن حمزة[١] البصرىّ قال : بلَوْتُ من أبى الطيب ثلاث[٢] خِلال محمودة ؛ وتلك أنه ما كذب ، ولا زنى ، ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث[٢] خِلال ذميمة ؛ وتلك[٣] أنه ما صام ، ولا صلى ، ولا قرأ القرآن ، وقال ابن فُورَّجَة[٤] فى كتاب : التجنى على[٥] أبى العلاء المعرىّ ، عن رجل من أهل الشام ، كان يتوكل لأبى الطيب فى داره يُعْرَف بأبى سعيد* قال : دعانى أبو الطيب يومًا ونحن بحلَب ، ولم أكن أعرف منه الميل إلى اللهو مع النساء ولا الغِلمان فقال لى : أرأيتَ الغلام ذا الأصداغ الجالسَ إلى حانوتِ كذا من السوق ؟ وكان غلامًا وسيمًا فحَّاشا[٦] ، فما هو سبيلُه ، فقلت : نعم أعرفه . قال : فامض وأتنى به ، واتخذ دعوة وأنفقْ وأكثِر ، وكنتُ أستطلعُ رأيه فى جميع ما أنفق ، فمضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الأطعمة ، وعِدَّة صَفَحات

---

(١) على بن حمزة أحد الأعلام الأئمة فى الأدب روى عنه أبو الفتح بن جنى شيئاً من أخبار المتنبى لأن المتنبى لما ورد بغداد نزل عليه ضيفاً إلى أن رحل عنه . معجم الأدباء لياقوت ١٣ : ٢١٠ توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٢،٢) كذا فى هـ . وفى ا ، ب و حـ ، د : ثلاثة تحريف .

(٣) حـ ، د ، هـ : ذلك .

(٤) فى فوات الوفيات جـ ٢ ص ١٩٨ ما نصه : محمد بن حمد بن فوزجة بالفاء المضمومة وبعد الواو والزاى جيم مشددة البرقوجردى : وفى بغية الوعاة ص ٣٩ أنه محمد بن حمد بن محمد بن محمود بن فورجة بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم ، وفى معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٨٨ ضبطه كما فى بغية الوعاة ، وعليه هامش يشير فيه إلى ضبط فوات الوفيات ثم يقول : فليتأمل هذان الضبطان . واقرأ إنباه الرواة جـ ١ ص ٣٣٤ لترى رأياً جديداً فى اسمه . وابن فورجة أديب فاضل مصنف من كتبه الفتح على أبى الفتح والتجنى على ابن جنى يرد فيهما على ابن جنى فى شرح شعر المتنبى ، وسيأتى ذكرهما فى شروح الديوان ، مولده فى ذى الحجة ٣٣٠ هـ .

(٥) سائر النسخ : عن والمعروف أن كتابه التجنى على ابن جنى لا على أبى العلاء المعرى .

* سيأتى ذكره بعد قليل بأنه الحسن بن سعيد راوية المتنبى بحلب كما فى ذكرى المتنبى لعزام ص ١٩ والمفهوم هنا أنه كبير خدم المتنبى .

(٦) سائر النسخ : فحالتنا وهو تحريف .

من الحلوى ، واستدعيْتُ الغلام ، فأجاب ، وأنا مُتَعجب من جميع ما أسمع منه ، إذ لم تَجْرِ له عادة فى مثله ، فعاد أبو الطيب من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام ، وفُرِغ من اتخاذ الطعام ، فأكلا وأنا ثالثهما ، ثم جَنَّ الليل ، فقدمت شمعة ، ومرفع[1] دفاتره ، وكانت تلك عادته كلَّ ليلة ، فقال : أحضرْ لضيفك شرابًا ، واقعد إلى جانبه ونادمه ، ففعلت ما أمرنى به . كلُّ ذلك وعينه إلى الدفتر ، يدرُسُ ولا يلتفت إلينا إلا فى حين بعد حين ، فما شربنا إلا قليلا حتى قال : افرش لضيفك ، وافرش لنفسك ، وبتْ ثالثنا ، ولم أكن قبل ذلك أبايتُهُ فى بيته ؛ ففعلت وهو يدرس ، حتى مضى من الليل أكثره ، ثم أوى إلى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنع ؟ فقال احْبُهُ واصرفهُ فقلت له : وكم أعطيه ؟ فأطرق ساعة ؛ ثم قال : أعطه[2] ثلثمائة درهم . فتعجَّبْتُ من ذلك ، ثم جسرت نفسى ، فدنوت منه ، وقلت له : إنه ممن يجيب بالشىء اليسير ، وأنت لم تنل منه حظًّا . فغضب ثم قال : أتظننى من أولئك الفسَقة ؟ أعطه ثلثمائة درهم ، ولينصرف راشدًا . ففعلت ما أمرنى به ، وصرفته .

قال ابن فُورَّجَة : كان المتنبى داهية مُرَّ النفس[3] شجاعًا حافظاً للأدب ، عارفًا بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يَشينه ويسقطه[4] إلا بخله وشرهه على المال .

وقال أبو البركات بن أبى الفرج المعروف بابن زيد[5] التكريتى الشاعر ، قال : بلغنى أنه قيل للمتنبى قد شاع عنك من البخل فى الآفاق ما قد صار سمراً بين الرفاق ، وأنت تمدح فى شعرك الكرم وأهله ، وتذم البخل وأهله ، ألست أنت القائل :

ومن يُنْفِقِ الساعات فى جمعِ مالِهِ مخافةَ فقْرٍ فالذى فعلَ الفقرُ

ومعلوم أنَّ البخل قبيح ، ومنك أقبح ؛ لأنك تتعاطى كِبْر النفس ، وعلوّ الهِمة ، وطلَب المُلْك ، والبخل ينافى سائر ذلك . فقال : إن لبخلى سبباً ،

---

(١) جـ ، د ، هـ : وأمر برفع دفاتره .

(٢) ب ، أنطه بمعنى أعطه فى لغة اليمن .

(٣) ب ، د ، هـ : اللسان بدل النفس .

(٤) ساقطة من هـ .

(٥) هو أبو البركات محمد بن أحمد بن زيد التكريتى المعروف بالمؤيد ، ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٥٩٩ هـ وقال : كان أديباً فاضلا شاعراً ، انظر جـ ٣ من إنباه الرواة ص ٢٥٥ وهامشها .

وذلك أنى أذكر وقد وردتُ فى صباىَ من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم فى جانب منديلى ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فرأيت عنده خمسة[1] من البطِّيخ باكورة ، فاستحسنتها ونويت أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ، فقال : بغير اكتراث : اذهبْ ، فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم . فلشدة ما جبهنى به ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ؛ ودفعت له خمسة دراهم ، فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ، ذاهبًا إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ، ودعا له ، وقال له[2] : يا مولاى ، هذا[3] بطيخ باكور ، بأجازتك أحمله إلى منزلك . فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال : بخمسة دراهم . فقال : بل بدرهمين . فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ، ودعا له ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : يا هذا ، ما رأيت أعجبَ من جهلكَ ، استمتَّ[4] علىّ فى هذا البطيخ ، وفعلتَ فعلتك التى فعلت ، وكنتُ قد أعطيتُكَ فى ثمنه خمسة دراهم ، فبعتَهُ بدرهمين محمولا . فقال : اسكت هذا يملك مئة ألف دينار . فعلمت أن الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم مَنْ يعتقدون أنه يملك مئة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار .

قلت وقع فى شعر أبى الطيب الوصيةُ بالحزم ، وضبط الأموال ، كقوله فى قصيدته التى أولها :

أودُّ مِنَ الأيام ما لا تَوَدُّهُ ... وأشكو إليها بينها [5] وَهْىَ جُنْدُهُ

يُباعِدْنَ حبًّا يجتمعن ووصلُهُ ... فكيف بحب يجتمعن وَصَدُّهُ [6]

---

(١) كذا فى جميع النسخ والصواب إسقاط التاء .

(٢) له سقطت من سائر النسخ .

(٣) سائر النسخ : هابطيخ .

(٤) استمت : غاليت .

(٥) الديوان بيننا بمعنى فراقنا .

(٦) الحب : المحبوب والمعنى أن الأيام تباعد عنى حبيباً ووصله موجود فكيف أطمع فى حبيب صده موجود ؟

أبى خُلُقُ الدنيا حبيبًا تُديمُهُ فما طلبى منها حبيباً تردّهُ

إلى أن قال :

وأتعبُ خلقِ الله من زاد همَّهُ وقصَّر عما تشتهى النفس جُهْدُهُ[1]
فلا ينحللْ فى المجد مالُك كلُّه فينحلَّ مجد كان بالمال عقدُه
ودبِّرْه تدبيرَ الذى المجدُ كفُّه إذا حارب الأعداء والمالُ زَنْدُهُ[2]
فلا مجدَ فى الدنيا لمنْ قلَّ مالُهُ ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مَجْدُهُ

فأمر[3] كافوراً بالبخل، حيثُ حرمه، وسلك فى ذلك مسلك كُثَيِّر عزَّة[4] فإنه دخل على هشام[5] بن عبد الملك ، وكان بخيلا ، فمدحه ، فلم يُثِبْه ، فقال كُثَيِّر يخاطبه بقوله :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءَهُ صنيعةُ تقْوَى أو خليل[6] توافقُه[7]
[8]منعتَ وبعضُ المنع[8] حزْمٌ وقوة ولم يفتلذك المال[9] إلا حقائقُه[10]

---

(١) الديوان : وجده وهى أشهر . هـ : جده .

(٢) يقول : دبر مالك تدبير من إذا قاتل أعداءه جعل المجد بمنزلة كف له يضربهم بها ، والمال بمنزلة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب يريد أنه بمجده وسيادته يقود الجيوش ، وبماله يجهزها ، وينفق عليها ، فالمجد والمال قرينان متلازمان لا يستقل أحدهما بدون الآخر كما بين ذلك فى البيت التالى :

« فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله . . . »

(٣) حـ ، د ، هـ : يصف بدل « فأمر » .

(٤) كثير عزة من شعراء الغزل فى العصر الأموى توفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ .

(٥) هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية توفى سنة ١٢٥ هـ .

(٦) حـ : صديقا

(٧) كذا فى « ا » وديوان كثير المطبوع بالجزائر سنة ١٩٣٠ . وفى سائر الأصول : توامقه . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن ١٩٠٤ : تخالقه . ومعنى توامقه : تودّه ويودك

(٨ – ٨) كذا فى الأصول والشعر والشعراء والديوان ، ونبه ناشراهما على أن هناك رواية أخرى هى :

« بخلت وبعض البخل . . . »

(٩) كذا فى الشعر والشعراء ، وديوان كثير ، ولسان العرب (فلذ) ومعنى يفتلذك يأخذ من مالك فلذة أى قطعة . وفى جميع أصول الصبح : يقتلدك . تحريف وفى العقد : « ولم يستلبك » . ومعنى البيتين : إذا كان العطاء لا يوجب عليك حقاً لله أو حقاً لصديق منعت ، وكان ذلك المنع حزماً وقوة وبنا للمجد ، ولا يهمك من بناء المجد إلا أن تحصل على حقيقته .

(١٠) وبعد هذين البيتين فى الشعر والشعراء والديوان بيت ثالث هو :

فبورك ما أعطى ابن ليلى بنية وصامت ما أعطى ابن ليلى وناطقه =

فقيل لكثير : ما حملك على أن تُعلّم أميرَ المؤمنين البخل ، فقال : إنه منعنى من رِفْده ، وآلمنى بردّه ، فأردت أن أحبّبَ إليه المال ، فيمنعَ غيرى كما منعنى ، فيتفقَ الناس على ذمه .

وأحسن قصائد أبى الطيب فى سيف الدولة ، وتراجَعَ شعرُه بعد مفارقته ، وسُئل عن سبب ذلك فقال : قد تجوّزتُ فى قولى، وأعفيتُ طبعى، واغتنمتُ الراحة[1] منذ فارقت آل حمدان وفيهم من يقول :

تُسائلنى من أنْت وهْىَ عليمة ... وهل بفتًى[2] مثلى على حاله نُكْرُ
فقلتُ كما شاءتْ وشاء لها الهوَى ... قتيلُك قالَتْ أيهم فهمُ كُثْرُ
فقلتُ لها لو شئْتِ لم تَتَعَنَّتِى ... ولم تسألى عنى وعندَك بى خُبْرُ
فقالتْ لقد أزْرى بكَ الدّهر بَعْدَنا ... فقلتُ معاذَ الله بل أنْتِ والدهرُ[3]
وما كان للأحزان لولاك مسلكٌ ... إلى القلبِ لكنَ الهوى للبلى جسْرُ
وتَهلكُ بين الهزل والجد[4] مهجةٌ ... إذا ما عداها البينُ عذّبها الهجرُ
فأيقنْتُ أن لا عزَّ بعدى[5] لعاشق ... وأنَّ يدى مما علَقْتُ به صِفْرُ
وإنى لنزالٍ بكل مخَوفَة ... كثيرٌ إلى نُزَّالها النظر الشزرُ
وإنى لَجرَّارٌ لكل كتيبة ... معودة ألاَّ يُخلِّىَ بها النصرُ
وأظمأ حتى يرتَوِى البيضُ والقنا ... وأسغبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنسرُ

= وقال ابن قتيبة قبلها : ولعبد العزيز يقول كثير ، وروى الكامل البيتين دون أن ينسبهما إلى قائلهما ، واستدرك الأخفش عليه أنهما لنصيب أو كثير ثم قال والأول أثبت .

(١) هذا ما ذكره الصبح المنبى وقد وقفنا فى شرح العكبرى لهذه القصيدة على علل أخرى ربما كانت أوضح تلك هى ما قاله العكبرى : سألت شيخى أبا الحرم مكى بن ريان الماكسى عند قراءتى عليه الديوان سنة ٥٩٩ هـ ما بال شعر المتنبى فى كافور أجود من شعره فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد فقال : كان المتنبى يعمل الشعر للناس لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء وكان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء فكان يعمل الشعر لأجلهم وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء فكان يعمل الشعر لأجلهم ولا يبالى بالممدوح .

(٢) فى حـ ، د ، هـ : نعت . تحريف . ب : بفتًى

(٣) كذا فى « ا » وفى سائر النسخ والديوان طبعة المعهد الفرنسى بدمشق : لا الدهر .

(٤) كذا فى أ ، ب ، حـ . وفى د ، هـ : بين الجد والهزل .

(٥) هـ : بعد بدون ياء المتكلم .

[و][1] يقول :

صبورٌ ولو لم تبق منى بقيـــة ... قؤولٌ ولو أن السيوفَ جوابُ
وقور وأحداثُ الزمان تنوشنى ... وللموت حولى جيئة وذهابُ
ستذكر أيامى نُميرُ بن عامرٍ ... وكعب على عِلاتها وكلابُ
أنا الجار لا زادى بطيءٌ عليهمُ ... ولا دونَ بابى فى الحوادث باب

يعنى أبا فراس . وفيهم من يقول :

وقد علمت بما لاقتْه منّا ... قبائلُ يعربٍ وبنى نِزارِ[2]
لقيناهُمْ بأرماحٍ طوال ... تبشرهم بأعمار قصارِ

يعنى أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان . وفيهم من يقول :

أ أخا الفوارس لو رأيتَ مواقفى ... والخيلُ من تحت الفوارس تَنحطُ[3]
لقرأتَ منها ما تخطّ يدُ الوغى ... والبيضُ تَشْكلُ والأسنةُ تنقط

يعنى أبا العشائر . قال أبو الفتح بن جنى : كنت قرأت ديوان المتنبى عليه ، فلما وصلت إلى قوله :

أغالبُ فيكَ الشَّوقُ والشَّوقُ أغْلَبُ ... وأعْجَبُ مِنْ ذا الهجرِ والوصْلُ أعجبُ[4]

فلما انتهيت إلى قوله :

لَحَا الله ذى الدنيا مُناخاً لراكب ... فكُلُّ بعيدِ الهمِّ فيها معذَّبُ
ألا ليتَ شعْرى هل أقول قصيدةً ... ولا[5] أشتكى فيها ولا أتعتَّبُ
وبى ما يذودُ الشعرَ عنى أقلُّهُ ... ولكنَّ قلبى يا ابنة القوم قُلَّبُ[6]

---

(١) الواو ساقطة من « ا » وهى فى سائر النسخ .
(٢) ب ، د ، هـ : فزار . تحريف .
(٣) تنحط : من باب ضرب ومعناه تصوت من الثقل والإعياء .
(٤) يروى فى سبب إنشاد هذه القصيدة أن كافوراً تقدم إلى البوابين وأصحاب الأخبار فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولاه موضعاً من الصعيد وغيره وينفذ إليه قوماً يعرفونه ذلك فلما كثر هذا وعلم أن أبا الطيب لا يثق بكلام يسمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً فقال يمدحه بها .
(٥) الديوان : فلا .
(٦) قلب : جيد الحيلة متصرف .

وأخلاقُ كافور إذا شئتُ مدحَهُ وإن لم أشأ تُملى عليّ وأكتب[١]
إذا ترك الإنسانُ أهلاً وراءه ويمّمَ كافوراً فما يتغرب

فقلت[٢] له : يعزُّ عليّ أن يكون هذا الشعر فى ممدوح[٣] غيرِ سيفِ الدّولة ، فقال : حذّرْناه وأنذرناه ، فما نفع فيه الحذر ألستُ القائلَ فيه :

أخا[٤] الجودِ أعطِ الناس ما أنتَ مالِكُهْ ولا تُعطينّ الناس ما أنا قائلُ

فهو الذى أعطانى لكافور بسوء تدبيره ، وقلّة تمييزه[٥] ، وهذا البيتُ من قصيدة له يمدحُ سيفَ الدولة بها ويصفُ دخولَ رسولِ مَلِكِ الرُّوم إليه[٦] ، ولو لم يكن للمتنبى سوى هذه القصيدة لاستحقّ بها فضيلةَ التقدم على كل من تقدمه وهى :

دروعٌ لِمَلْكِ الروم هذى الرسائلُ يردُّ بها عن نفسه ويُشاغِلُ

هذا[٧] أحسن من قول أبى تمام :

غدًا خائفاً يستنجد الكُتْبَ مُذْعِناً إليكَ فلا رُسْلٌ تُنَتْلكَ[٨] ولا كُتْبُ[٩]

• • •

---

(١) أخذ هذا المعنى الصاحب بن عباد فقال :

وما هذه إلا وليدة ليلة يفسر لها شعر الوليد وينضب
على أنها إملاء مجدك ليس لى سوى أنه يملى على وأكتب

(٢) كذا فى جميع النسخ والصواب حذف الفاء على أنه يمكن تقدير جواب محذوف و : فقلت له . . . معطوف عليه .

(٣) ب ، حـ : ويمدح غير سيف الدولة . د ، هـ : ويمدح به غير سيف الدولة .

(٤) الديوان : أذا الجود . سائر النسخ : أبا الجود .

(٥) يقال إن السبب الذى حمل المتنبى على مفارقة سيف الدولة وخروجه إلى مصر ومدحه كافوراً الأسود : أن سيف الدولة كان يتلون له ، ولا يثبت على حال واحدة ، ويصغى إلى قوم كانوا يغرونه به ، ويقعو فيه دناءة منهم وحسداً له ، فكثر الأذى عليه من جهته فأجمع رأيه على الرحيل من حلب . وفيما سبق من مواقف أبى فراس وابن خالويه وغيرهما من المتنبى وسكوت سيف الدولة عن ذلك دلائل على هذا ، وسيأتى بيان واف عن رحلة المتنبى من حلب إلى مصر ، واتصاله بكافور .

(٦) كان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٣٤٣ هـ .

(٧) مطبوعة دمشق وهامش التبيان : « وهذا » بزيادة الواو .

(٨) مطبوعة دمشق : تفيه .

(٩) وعندنا أن قول أبى تمام أجود ؛ فقد صرح بالخوف والإذعان ، وأن ما يتوصل به لا يفيد .

هى الزَّرَدُ الضَّافى عليه ولفظُها عليكَ ثناء سابغ وفضائلُ
وأنَّ اهتدَى هذا الرسولُ بأرضه وماسكنتْ مُذْ سِرْتَ فيها القساطل[١]
ومن أىّ ماء كان يَسْقَى جيادَه ولم تَصْفُ من مَزْجِ الدماء المناهلُ

هذا[٢] أيضا أحسن من قول البحترى :

يُغالبُ طعمَ الماء فى ملتقاهُمُ حسًا[٣] الدمِ حتى يلفظ الماءَ شاربُه

* * *

أتاكَ يكـــاد الرأسُ يجحدُ عُنْقَهُ وتنقدُّ تحت الذُّعْر[٤] منه المفاصلُ
يُقوّم تقويمَ السماطين مشْيَهُ إليك إذا ما عوَّجَتْه الأفاكل[٥]
فقاسَمكَ العينين منه ولحظَهُ سَمِيَّك والخِلَّ الذى لا يُزايلُ

بنصب العينين ، واللحظ ، والسمىّ ، والخِلّ[٦]

وأبصر منه[٧] الرزقَ والرِّزْقُ مُطمعٌ وأبصر منه الموتَ والمـــوتُ هائلُ
وقبَّل كُمَّا قبَّل التُّربَ قبله وكلٌّ كَمِيٌّ واقف متضائل
وأسعدُ مشتاقٍ وأظفرُ طالبٍ همامٌ إلى تقبيل كفِّك واصل
مكان تمناه الشفاهُ ودونه صدورُ المذاكى[٨] والرماحُ الذوابلُ[٩]

---

(١) القساطل : جمع قسطل وهو غبار الحرب .
(٢) مطبوعة دمشق وهامش التبيان : « وهذا » بزيادة الواو .
(٣) سائر النسخ : من ملتقاهم . حسا الدم : ما يحتسى منه ، وحسا بالقصر ويمد .
(٤) الديوان ومطبوعة دمشق : الدرع .
(٥) السماطين : مثنى سماط وهو الصف من الناس . الأفاكل جمع أفكل وهو الرعدة من خوف أو برد . وروى تقويم بالنصب على المفعولية المطلقة ومشيه مفعول به وفاعل يقوم ضمير الرسول وروى بالرفع على أنه فاعل يقوم أى إذا تموج الرسول فى مشيه عدلته صفوف جندك لضيق ما بينها وكان قدومه وسيف الدولة بين صفين من جنده .
(٦) أجمع شراح الديوان على رفع « سميك » لأنها فاعل قاسم والخل معطوف عليه . أما ما انفرد به المؤلف فيمكن توجيهه على أن فاعل قاسم ضمير يعود على الرسول ، والعينين مفعول به له ، ولحظه معطوف على العينين ، وسمى مفعول للحظ على أنه مصدر لحظ ، والخل معطوف على سمى ، والمعنى على هذا واضح أيضاً
(٧) سائر النسخ والديوان « منك » وهو الصواب .
(٨) المذاكى من الخيل ما اكتملت قوتها .
(٩) الذوابل : جمع ذابل الرماح اليابسة .

فما بلغتْه ما أراد كرامةٌ عليك ولكن لم يَخبْ لك سائل
وأكبرُ منه همة بعثتْ به إليك العِدا واستنصرتْه الجحافل[١]
فأقبل من أصحابه وهو مرسَلٌ وعاد إلى أصحابه وهو عاذل[٢]

هذا[٣] يشابه قول البحترى :

لحظوك أولَ لحظة فاستصغروا مَن كان يُعْظَمُ عندهم ويُبَجَّل
قد نافس الغُيَّبُ الحضورَ على الذى شهِدوا وقد حسد الرسولَ المرسِلُ[٤]

* * *

تحيَّر فى سيفٍ ربيعةُ أصلُه وطابِعُه الرحمنُ والمجدُ صاقلُ
وما لونُه مما تحصّل مقلةٌ ولا حدُّه مما تُحِسُّ الأنامِلُ
إذا عاينتك الرسْلُ هانتْ نفوسُها عليها وما جاءتْ به والمراسِلُ
رَجا الرومُ من تُرجَى النوافلُ كلُّها لديه ولا تُرْجَى لديه الطوائلُ[٥]
فإن كان خوف الأسر والقتل ساقهم فقد فَعلوا ما الأسر والقتل فاعل
فخافوك حتى ما لقتل زِيادةٌ وجاءوك حتى ما تُرادُ السلاسلُ
أرى كلَّ ذى مُلْك إليك مصيرُهُ كأنكَ بحر والملوكُ جداول

---

(١) روى « وأكبر » بالرفع على أنه مبتدأ ، وبالجر بالفتحة على أنه واقع بعد رب ، وبالنصب بفعل مضمر تفسيره ما بعده ، وقد يكون « أكبر » فعلا ماضياً والمعنى أن الروم استعظموا همة الرسول التى حملته إليك مع ما يعترضه من المهابة .

(٢) المعنى أنه أقبل من عندهم وهو رسول لهم مبلغ كلامهم ، فلما عاد إليهم صار لانما لهم يعنفهم على محاربتك حين رأى جندك وكثرة عددك .

(٣) مطبوعة دمشق : « وهذا » بزيادة الواو .

(٤) هذان البيتان (وهما غير متتابعين) من قصيدة للبحترى يمدح بها المتوكل ويذكر وفد الروم ، وقد روى البيت الثانى منهما محرفا فى شطره الأول تحريفا مفسدا لم نشأ أن نذكره . والغيب بفتحتين جمع غائب ، والحضور : الحاضرون ، وفى بيتى البحترى عذوبة واستيفاء للمعنى ؛ فقد دل على أن لا عظمة للملوك الروم بجانب عظمة المتوكل ، وأفاد شيئاً آخر هو منافسة الغائبين من حضروا على ما شهدوا ، وحسد المرسل رسوله .

(٥) النوافل : العطايا جمع نافلة . الطوائل : الأحقاد مفردها طائلة يقال بينهم طائلة أى عداوة وترة .

أخذه من[١] ابن المعتز :

« مَلِكٌ تواضعت الملوكُ لعزِّه قسراً وفاض على الجداول بحرُهُ »

* * *

إذا مطرتْ منهم ومنكَ سحائبٌ فوابِلُهُم طَلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

هذا أيضًا كقول البحترى :

« أنذرتكم عارضًا تبدو مخايلُهُ فالقطرة الفذّ منه وابل هَطِلُ[٢]

* * *

كريمٌ متى استُوهِبتَ ما أنت راكب وقد لبِحَتْ حربٌ فإنك نازلُ[٣]

هذا[٤] المعنى مأخوذ من خبر رُوِى عن حاتم الطائى [قيل][٥] إنه بارز عامرَ بنَ الطفيل وفُقد رمحُ عامر ، فخافه عامر فقال : ياحاتم لأُبخِّلنَّكَ[٦] قال : بماذا ؟ قال : ادفعْ إلىَّ رمحَكَ أقاتلْك به فرمى إليه برمحه ، ورجع مُوَلِّيًا . وقال بشّار ما[٧] ينظُر إلى هذا المعنى :

لو كان لى سيفٌ غداةَ الوغى طِبْتُ به نفسًا لأعدائى

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قولُ البحترى :

---

(١) حـ ، د ، هـ : من قول .

(٢) هذا البيت من قصيدة فى مدح أبى سعيد الثغرى مطلعها :

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل يرد قولا على ذى لوعة يسل

والعارض : السحاب المعترض فى الأفق .

(٣) لقحت الحرب : اشتدت . يريد أنه كريم لو سئل فرسه وقد ثارت الحرب لنزل عنها ، ولم يبخل بها على سائله . نازل : رواية الأصول ، وفى الديوان : باذل . وهى أجود .

(٤) مطبوعة دمشق هـ : « وهذا المعنى » بزيادة الواو .

(٥) (قيل) زيادة من حـ ، د ، هـ .

(٦) لأبخلنك كما فى ب : أى لأنسبنك إلى البخل وقد حرفت فى غيرها ، وقد تقرأ « لأنجلنك » من : نجله بالرمح أى طعنه وأوسع شقه .

(٧) ما : أى شعرا ينظر، وهى ساقطة من جـ .

ماضٍ على عزمه فى الجود لو وَهَبَ الشَّـــباب يومَ لقاء البيضِ ما نَدِما[١]

قال ابن أحمر[٢] :

إنى أقيد بالمأثور راحلتى ولا أبالى وإن كنا على سَفَرِ

وما زال المتنبى بعد مفارقة سيف الدولة يعرض بمدحه تارة ، ويصرح أخرى ؛ فمن ذلك قوله فى أول قصيدته التى مدح بها كافورا :

فِراقٌ ومَنْ فارقتُ غيرُ مُذمَّم[٣]

ومن ذلك أيضا قوله فى قصيدة كافورية :

عشية أحفى الناسِ بى من جَفَوْته وأهدَى طريقٍ[٤] الذى أتجنَّبُ

ما وجد من شعره فى غير ديوانه

ورأيت له قصيدتين فى هجاء كافور ، ومدح سيف الدولة ، ونقلتهما من خط أبى منصور [عبد الملك بن[٥]] محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورىّ . قال : إنهما وُجدتا فى رحله لمّا قُتِل ، وعملهما بواسط[٦] إحداهما قوله :

أفيقا خُمارُ الهمّ نَغَّصَنى[٧] الخمرا وسُكْرى من الأيام جنَّبنى السُّكْرا

---

(١) من قصيدة فى ديوانه يمدح بها رافع بن هرثمة ومطلعها :

بالله آلى يمينا برة قسما ما كان ما زعم الواشى كما زعما

ونحن نوافق على أن البحترى أجود لأن الشباب أغلى ما يحرص عليه الإنسان فهو الحياة .

(٢) فى الأصول : ابن الأحمر والصواب ما أثبتنا . وابن أحمر ، هو عمرو بن أحمر الباهلى شاعر مخضرم (انظر ترجمته فى معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢١٤) ونسب البيت صاحب اللسان فى (أثر) إلى ابن مقبل وهو شاعر مخضرم أيضاً .

والمأثور : السيف فى متنه أثر ، أو القديم المتوارث . وتقييد الراحلة نحرها به الأضياف .

(٣) تمام البيت : « وأم ومن يممت خير ميمم » .

(٤) الديوان : الطريقين . وهذا البيت من قصيدته التى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد تقدم ذكرها .

(٥) زيادة من وفيات الأعيان واليتيمة لتصحيح الاسم وأبو منصور هو صاحب يتيمة الدهر وفقه اللغة وغيرهما من النفائس الأدبية .

(٦) واسط : بلد بالعراق فى وسط الطريق بين البصرة والكوفة بناه الحجاج بن يوسف .

(٧) كذا فى ا ، د . ب ، حـ ، هـ : محرفة لا توجيه لها . الديوان ومطبوعة دمشق : بغضنى أى بغض إلى .

تَسُرَّ خليليَّ المدامةُ والذى ... بقلبيَ يأبى أن أُسَرَّ كما سُرّا
لبستُ صروفَ الدهر أخشنَ مَلْبَس ... فعرّقنى نابًا ومزّقنى ظُفْرا[1]
وفى كل لحظٍ لى ومَسْمَعِ نَغْمة ... يُلاحظنى شَزْرًا ويُسمعنى هُجْرا
سَدَكتُ بصرف الدهر طفلا ويافعًا ... فأفنيتُه عزما ولم يُفْنِنى صَبرا[2]
أريدُ من الأيام مالا يريدُه ... سواى ولا يجرى بخاطره فكرا
وأسأله ما أستحق قضاءه ... وما أنا ممن رام حاجته يَسْرا[3]
ولى همةٌ من رأْيِ همتها النوى ... فتُركِبُنى من عزمها المركب الوعْرا[4]
تروق بنى الدنيا عجائبهُا ولى ... فؤادٌ ببيض الهند لا بيضها مُغْرَى
أخو همَمٍ رحّالة لا تزال بى ... نوًى تقطعُ البيداء أو قَطَعَ العُمْرا
ومن كان عزمى بين جنبيه حثه ... وصيرُ[5] طول الأرض فى عينه شِبْرا
صحبت ملوكَ الأرض مغتبطًا بهم ... وفارقتهم مَلّانَ من حَنَقٍ صَدرا
ولما رأيت العبد للحرّ مالكا ... أبيتُ إباء الحر مسترزقًا حرا
ومصرٌ لعَمْرى أهلُ كلّ عجيبة ... ولا مثلَ ذا المخصىّ أعجوبةً نكرا[6]
يُعَدّ إذا عُدّ العجائبُ أوّلا ... كما يُبتدا فى العدّ بالإصبع الصغرى
فيا هَرَمَ الدنيا ويا عِبرَةَ الورى ... ويأيها المخصىّ مَنْ أمك البَظْرا[7]
لُوَيْبيّةٌ لم تَدْرِ أن بُنَيَّها الْـ... ... لُوَيْبِيّ دون الله يَعبدُ فى مِصرا[8]

---

(١) عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم ، والتشديد للمبالغة ، ونابا وظفرا منصوبان على نزع الخافض أى بناب وظفر .

(٢) سدك به : لزمه .

(٣) يسرا : أى قبل أن يحين أوانها . الديوان : قسرا .

(٤) أراد بالهمة الأولى القدرة على الوصول إلى عظائم الأمور ، وبالثانية العزيمة

(٥) الديوان : خيل .

(٦) نكرا مقصور نكراء وهى المنكرة . الديوان : بكرا وهى رواية جيدة .

(٧) البظراء : ذات البظر أى التى لم تخفض ، والخفض للجارية كالختان للغلام .

(٨) لويبية : مصغر لوبية واللوبية المنسوبة إلى اللوبة وهى النوبة واسمان للحرة أى الأرض البركانية السوداء ، وقيل اللوبية المنسوبة إلى اللوب وهى لغة فى النوب الذى هو جيل من السودان . « تاج العروس » الديوان : نويبية . النويبى .

ويستخدم البيضَ الكواعبَ كالدُّمى ... ورُومَ العِبدّى والغطارفةالغُرّا[١]
قضاءٌ من الله العليّ أراده ... ألاّ ربما كانت إرادته شرّا[٢]
ولله آياتٌ وليس كهذه ... أظنك يا كافورُ آيتَه الكبرى
لَعمرُكَ ما دهرٌ به أنت طيِّبٌ ... أيَحْسِبُنى ذا الدهرُ أحسبه دهرا ؟
وأكفرُ يا كافورُ حين تلوح لى ... ففارقتُ مذ فارقتك الشّركَ والكفرا
عثرتُ بسيرى نحوَ مصر فلا لَعًا ... بها ولَعًا بالسَّير عنها ولا عَثْرا[٣]
وفارقتُ خيرَ الناس قاصدَ شرّهم ... وأكرمَهم طُرًّا لأَلأَمِهم طُرّا[٤]
فعاقبنى المحصىُّ بالغدر جازبا ... لأن رحيلى كان عن حلب غدرا
وما كنتُ إلاّ فائلَ الرأى لم أُعَنْ ... بحزْمٍ ولا استصحبتُ فى وجهتى حِجرْا[٥]
وقد أرىَ[٦] الخنزيرُ أنى مدحته ... ولو علموا قد كان يُهْجى بما يُطْرى
جسَرْتُ على دَهْياءِ مصرَ فَفُتّها ... ولم يكن الدهياءُ إلاّ مَن استجْرا[٧]
سأجلِبُها أشباهَ ما حملتْه من ... أسنتها خُزْرًا[٨] مُقَسطلةً غُبرا

---

(١) العبدى : جمع عبد . الغطارفة جمع غطريف وهو السيد . الغر : جمع أغر وهو أبيض الوجه.

(٢) كذا فى ا والديوان . وفى سائر النسخ « سرا » وهى تنظر إلى قوله :

ولله سر فى علاك وإنما ... كلام العدا ضرب من الهذيان

(٣) لعا : كلمة تقال للعاثر : أى أنعشك الله . يقال : لعاً له ، ولاعاً لفلان يقول : عثرت بسيرى إلى مصر لخبوط آمالى ، وإمساكى على الخسف فلا نعشت من عثرتى هذه لأنى أتيتها بسوء رأيى ثم فارقتها فلا عثرت بالسير عنها لأنى أهيىء لنفسى بخروجى منها رشدا .

(٤) يريد بخير الناس وأكرمهم سيف الدولة ، وبشر الناس وألأمهم كافورا ، وبهذه المناسبة ذكر المؤلف هذه القصيدة فى هذا الموضع ليبين أن المتنبى كان بعد مفارقة سيف الدولة لا يزال يذكره تصريحا أو تلميحا .

(٥) فائل الرأى : ضعيفه . الحجر بكسر أوله : العقل .

(٦) « وقدر بى » جميع النسخ . « وقد أرى » ببناء الفعل للمجهول عن الديوان وهو الصواب .

(٧) يقال : داهية دهياء أى شديدة وهو مبالغة كما يقال ليلة ليلاء فحذف الداهية ونزل الدهياء منزلتها . استجرا : مخفف استجرأ أى تجرأ . والمعنى : جسرت على اقتحام الداهية بمصر يريد ما حاق به من خطر الهلكة ثم نجوت منها فكنت أنا الداهية لا هى .

(٨) هكذا فى جميع النسخ ومعناها ضيقة العيون . أو كأنها تنظر فى أحد الشقين غضبا . وفى العرف : جردا . والمعنى : سأجلب الخيل على مصر كأنها أسنة الرماح التى عليها فى الحدة ومضاء العزم يعلوها الغبار حتى يكسوها لونه ، وهذا من هذر المتنبى ودعاويه العريضة .

وأُطلعُ بيضًا كالشموس مُطلَّةً ... إذا طلعتْ بيضًا وإن غَرَبَتْ حُمرا
فإن بلغَتْ نفسى المنى فبعزْمها ... وإلاّ فقد أبلغتُ فى حرصها عُذْرا(١)

والأخرى قوله :

قطعتُ بسيرى كلَّ يَهْماء مَفْزَعٍ ... وجُبْتُ بخيلى كلَّ صَرْماء بَلْقَعِ(٢)
وثلَّمتُ سيفى فى رءوس وأذرعٍ(٣) ... وحطمتُ رمحى فى نحُور وأضلُعِ
وصيّرتُ رأيى بعد عزمىَ رائدى ... وخالفتُ آراءً توالتْ بمسمَعى
ولم أترُكْ أمرًا أخافُ اغتياله ... ولا طمَحتْ نفسى إلى غير مَطمَعِ(٤)
وفارقتُ مصرًا والأسَيْودُ عينُه ... حِذارَ مسيرى تستهلُّ بأدمُعِ
ألم يَفهم الخنْثى مقالى وأننى ... أُفارق من أقْلِى بقلب مُشَيَّعِ(٥)
ولا أرعوى إلاّ إلى من يَوَدُّنى ... ولا يَطَّبِينى منزلٌ غيرُ مُمْرِعِ(٦)
أبا النَّتْن كم قيدتَنى بمواعدٍ ... مَخافةَ نظم للفؤاد مُرَوَّعِ(٧)
وقدّرتَ من فرط الجهالة أننى ... أُقيم على كِذْبٍ رصيف مُصَنَّعِ(٨)
أقيم على عبد خَصِىٍّ منافق ... لئيم ردىء الفعل للجود مُدَّعى
وأترُكُ سيف الدولة الملكَ الرضا ... كريمَ المحيا أروعا وابن أروع
فتًى بحره عذبٌ ومَقْصِدُه غِنًى ... ومَرْتَعُ مرعى جوده خيرُ مرتع(٩)
تَظَلّ إذا ما جئتَه الدهرَ آمنا ... بخير مكان بل بأشرف موضع

---

(١) معنى البيت : إن ذلت ما أتمنى من أخذ مصر وقتل كافور فقد بلغت ذلك بعزم نفسى لا اتفاقا وإن لم أبلغه فقد حرصت على أسباب الفوز به ومن حرم بعد الحرص فهو معذور .

(٢) اليهماء : المفازة لا يهتدى فيها . مفزع أى مخيفة وأراد مفزعة فحذف الهاء كما يقال : لحية ناصل. الصرماء : المفازة لا ماء بها . جميع النسخ : بهماء بالباء الموحدة تحريف . حـ : جئت بدل جبت .

(٣) جميع النسخ : أدرع .

(٤) البيت محرف فى جميع النسخ والتصحيح من الديوان .

(٥) كذا فى ا ، ب ، والديوان . سائر النسخ : المخصى . هامش التبيان : ولم يفهم. المشيع : الجرىء .

(٦) البيت ساقط من حـ ، د ، هـ . يطبينى : يستوينى .

(٧) الديوان : قد بدل كم . هـ : أيدتنى بدل قيدتنى .

(٨) ا ، ب : لغط الجهالة . حـ ، د ، هـ : لفظ الجهالة تحريف. سائر النسخ : وصيف بدل رصيف.

(٩) مقصده : قصده .

كان سيف الدولة يكاتب المتنبي

قال ابن سعيد[١] : إن سيف الدولة كان يكاتب المتنبي ، ويُهاديه ، فقال بمدحه ، وأنفذها إليه من الكوفة ، وكان سيف الدولة قد كاتبه إليها[٢] بأجمل مكاتبة ، وأنفذها[٣] إليه كُسوةً وبِرًّا ، وعرّض له بالعود

ما لنا كلُّنا جَوٍ يا رسولُ أنا أهوى وقلبُك المتبولُ[٤]

إلى أن قال :

نحن أدرى وقد سألنا بِنَجد أقصيرٌ طريقُنا أم طويلُ[٥]
وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ وكثيرٌ من رَدّه تعليل
لا أقمنا على مكانٍ وإن طا ب ولا يمكن المكانَ الرحيلُ[٦]
كلما رحّبتْ بنا الروض قلنا حَلَبٌ قصدُنا وأنتِ السبيل[٧]
فيك مرعى جيادنا والمطايا وإليها وَجيفُنا والذميل[٨]
والمسمَّوْنَ بالأمير كثيرٌ والأميرُ الذى بها المأمول

---

(١) سائر النسخ : ابن سعد . وفى ذكرى المتنبى لعزام ص١٩ : أنه الحسن بن سعيد راوية المتنبى بحلب .

(٢) « إليها » كذا فى جميع النسخ ما عدا ه فإنها ساقطة منها ولعله يريد « فيها » .

(٣) كذا فى الأصل وفى سائر النسخ : وأنفذ .

(٤) سائر النسخ : كلنا جوى الجوى الذى أصابه الجوى وهو حرقة فى القلب من حزن أو عشق . المتبول : الذى أسقمه الحب وأفسده . وللعكبرى مناقشة لطيفة فى إعراب البيت وتوجيهه

(٥) الديوان : أطويل طريقنا أم يطول ؟ أظهر تجاهلا وهو عارف ، وهذه طريقة الشعراء ، والإنسان إذا اشتاق إلى الشىء سأل عنه ، وإذا أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وأكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه كقول بشر بن أبى خازم :

أسائل صاحبى ولقد أرانى بصيراً بالطعائن حيث ساروا

وكقول الآخر :

وخبرنى عن مجلس كنت زينه بحضرة قوم والملاء شهود
فقلت له كر الحديث الذى مضى وذكرك من كثر الحديث أريد
أناشده إلا أعاد حديثه كأنى بطىء الفهم حين يعيد

(٦) « ا » لأقمنا تحريف . ومعنى البيت : لم نقم بمكان وإن كان طيباً لئلا يؤخرنا عن المسير ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه أى لم نبال براحة و لم نقصد إلى لذة حتى نصل إلى المكان الذى نريده وفى البيت بعده بيان له .

(٧) أنت السبيل : خطاب للروض .

(٨) فيك : أى فى الروض . الوجيف : العدو . الذميل : ضرب من سير الإبل .

الذى زُلتُ عنه شرقاً وغرباً ... ونَداه مُقابلى ما يزول[١]
ومعى حيثما سلكتُ كأنى ... كلُّ وجه له بوجهى كفيل[٢]
فإذا العذلُ فى الندى زار سمعا ... فنَداه العذولُ والمعذولُ[٣]
ومَوالٍ تُحييهمُ من يديه ... نِعَمٌ غيرُهم بها مقتول[٤]
فرس سابقٌ ورمحٌ طويل ... ودِلاصٌ زَغْفٌ وسيفٌ صقيل[٥]

وأرسل إليه من بغداد قصيدةً جوابَ كتاب ورد منه فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة[٦] وهى :

فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكُتُب ... فسمعًا[٧] لأمرِ أميرِ العربْ

إلى أن قال :

وما لا قنى بلدٌ بعدكم ... ولا[٨] اعتضتُ من ربّ نعماىَ ربْ
ومن ركب الثورَ بعد الجوا ... دِ أنكر أظلافَه والغَبَبْ[٩]
وما قِستُ كلَّ مُلوك البلاد ... فدع ذكر بعضٍ بمن فى حلب[١٠]
ولو كنتُ سمّيتُهم باسمه ... لكان الحديدَ وكانوا الخشب
أفى الرأى يُشْبِهُه أم فى السخا ... ءِ أم فى الشجاعة أم فى الأدب ؟

---

(١) وهذا مثل قوله :

ومن فر من إحسانه حسداً له ... تلقاه منه حيثما سار نائل

(٢) الوجه : الجهة . له : الضمير فيه للندى . بوجهى : باتجاهى .

(٣) العذل : الملام . والمعنى : إذا عذل جواد على جوده فنداؤه العاذل والمعذول لأنه المنفرد بإسداء المعارف والنعم .

(٤) موال : أنصار وموالون يريد أنه ينعم عليهم بنعم يحييهم بها ويقتل غيرهم بها لأن هذه النعم قد تكون من أدوات القتال كالسيوف والرماح فهو ينعم بها على مواليه ويقتل بها غيرهم .

(٥) الدلاص : الدروع البراقة الملساء . الزغف : المحكمة النسج . حـ ، د ، هـ : زعف . ب : زعف تحريف (٦) حـ ، د ، هـ : ثلاث وأربعين وثلثمائة وهو خطأ تاريخى .

(٧) ب ، د ، هـ : فسما . تحريف .

(٨) هكذا فى « ا » والديوان . سائر النسخ « وما » . لاقنى : أمسكنى وحبسنى .

(٩) الغبب : اللحم المتدلى تحت حنك البقرة والبيت مثل لمن يترك عظيما إلى من هو أقل منه . والتعبير بالركوب فيه جفاء ولا تخاطب الملوك بمثل هذا .

(١٠) المعنى : ما قستهم كلهم به فضلا عن أن أقيس به بعضاً منهم .

ذهابه من حلب

ولما عزم أبو الطيب على الرحيل من حلب ، وذلك فى سنة ست وأربعين وثلثمائة لم يجد بلدا أقرب إليه من دمشق ؛ لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار إلى الشام ، وألقى بها عصا تَسْياره ، وكان بدمشق يهودىّ من أهل تَدْمُر[1] يعرف بابن مَلَك من قِبَل كافور ملكِ مصرَ ، فالتمس من المتنبى أن يمدحه ، فثقل عليه ، فغضب ابنُ ملك ، وجعل كافورٌ الإخشيدى يكتب فى طلب المتنبى من ابن ملك ، فكتب إليه ابن ملك : إن أبا الطيب قال : لم أقصد العبد وإن دخلتُ مصر فما قصدى إلا ابن سيده[2] ، ونَبَتْ دمشق بأبى الطيب[3] ، فسار إلى الرملة[4] ، فحمل إليه أميرُها الحسينُ بن طُغْج هدايا نفيسة ، وخلع عليه ، وحمله على فرس بمركب[5] ثقيل ، وقلده سيفًا مُحلى ، وكان كافورٌ الإخشيدى يقول لأصحابه : أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا ؟ وأخبر المتنبى أنه واجدٌ عليه ثم كتب كافورٌ يطلبه من أمير الرملة ، فسار إليه .

طلب اليهودى الملح من المتنبى

أصل كافور ب

وكافورٌ هذا عبدٌ أسودُ خَصِىّ مثقوب الشفةِ السفلى بطيءٌ قبيحُ القدمين ثقيلُ البدنِ لا فرقَ بينه وبين الأمة . وقد سُئل عنه بعضُ بنى هلال فقال رأيت أمة[6] سوداء تأمر وتَنهى ، وكان هذا الأسودُ لقوم من أهل مصر يُعرفون ببنى عياش يستخدمونه فى مصالح السوق ، وكان ابنُ عياش يربط فى رأسه حبلا إذا أراد النوم فإذا أراد منه حاجة جذبه بالحبل لأنه لم يكن يَنتبهُ بالصياح ، وكان غلمانُ ابنِ طُغْج يَصفعونه فى الأسواق كلما رأوْه فيضحكُ فقالوا هذا الأسودُ خفيفُ الروح ، وكلموا صاحبَه فى بيعه فوهبه لهم ، فأقاموه على وظيفة الخدمة ، ومات سيدُه

---

(١) حـ ، د ، هـ : مصر (خطأ) . تدمر : مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام .

(٢) يظهر أن هذه الرواية غير صحيحة لانه لا يعقل أن يسب المتنبى كافورا وهو عازم على دخول مصر ولأنه لا يعقل أن يجبه ابن ملك كافورا بهذه العبارة ولو صدرت من المتنبى .

(٣) حـ ، د ، هـ : بالمتنبى .

(٤) الرملة : بلد بفلسطين .

(٥) هـ : بموكب .

(٦) أمة : ساقطة من هـ .

أبو بكر بنُ طغج وولدهُ صغيرٌ، وتقيد الأسودُ بخدمته[١] وأُخذت البيعة لولد سيده ، وتفرّد الأسود بخدمته[١] وخدمة والدته ، فقرّب من شاء [٢] وبعّد من شاء[٢] فنظر الناسُ إليه من صِغَر هممِهم ، وخسة أنفسهم ، فسابقوا إلى التقرب إليه ،وسعى بعضهُم ببعض حتى صار الرجلُ لا يأمن أهلَ داره على أسراره ، وصار كلّ عبد بمصر يرى أنه خيرٌ من سيده ، ثم ملكَ الأمرَ على ابنِ سيده وأمر ألاّ يكلمَه أحدٌ من مماليك أبيه ، ومن كلمه أُتلفه ، فلما كبر ابنُ سيده وتبين ما هو فيه جعل يبُوح بما هو فى نفسه فى بعض الأوقات على الشرابِ فنَفزع الأسودُ منه ، وسقاه سمًّا فقتله ، وخلتْ مصرُ له .

قدوم المتنبى على كافور

ولما قدِم أبو الطيبِ عليه أمر له بمنزل ، ووكّل به جماعةً وأظهر التهمةَ له ، وطالبه بمدحه فلم يمدحْه فخلع عليه ، فقال أبو الطيب فى سنة ست وأربعين وثلثمائة بمصر يمدحه بقصيدته التى أولها :

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيًا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا[٣]

إلى آخرها ، وكان وعده أن يبلّغه ما فى نفسه فأنشده قصيدته التى أولها :

مَن الجآذرُ فى زىّ الأعاريبِ حمرَ الحلَى والمطايا والجلابيب [٤]

(١ — ١) العبارة ساقطة من سائر النسخ .

(٢ — ٢) « وبعد من شاء » ساقطة من سائر النسخ . حـ ، د ، هـ : « فتقرب » بدل « فنظر » .

(٣) ليس من شك فى أن هذا مطلع فيه سوء مواجهة ولا يشفع للمتنبى إلا أنه كان يقصد ذلك لاحتقاره كافورا ومعنى البيت : يخاطب نفسه فيقول إذا كنت فى حال ترى شفاءك منها الموت فتلك الحال هى أشد الأدواء عليك وإن كنت بريئاً من الداء .

وفى سائر النسخ البيت التالى للمطلع هو :

تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا أو عدوا مداجيا

والضمير فى تمنيتها للمنايا والمداجاة : مساترة العداوة . اقرأ ص ١١٣

(٤) من : استفهام . الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . الأعاريب : جمع أعراب وهم سكان البادية . الجلابيب : جمع جلباب وهو الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها يقول : من هؤلاء النساء الشبيهات بالجآذر وهن فى زى الأعراب ،وحمرة الحلى كناية عن كونها ذهبا والنياق الحمر أكرم النياق عند العرب والحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ،والقصيدة طويلة تبلغ ستة وأربعين بيتا .

وقوفه بين يدي كافور

وكان يقفُ بين يدىْ كافور وفى رجليه خُفان وفى وسطه سيفٌ ومِنطقةٌ ويركبُ بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، وكان لا يجلس فى مجلس كافور ، فأرسل إليه مَنْ قال له قد طال قيامُك يا أبا الطيب فى مجلسه ؛ يريد أن يعلمَ ما فى نفسه .

فقال ارتجالا :

يقلّ له القيامُ على الرءوس ... ويبذلُ المُكْرَماتِ من النفوس
إذا خانتْه فى يوم ضَحوك ... فكيف تكون فى يوم عَبوس[1]

قلتُ : ينبغى التعجبُ ! لا يرضى أبو الطيب أن يُنشد قائمًا عند سيفِ الدولة وهو على ما كان عليه*، وبُعْدِ اشتهار[2] فى أقطار الأرض، ومعرفة ملوكها بفضله . فعلٌ ما سمعته . ورأيت[3] له قصيدة ليست فى ديوانه يرثى بها أبا بكرِ ابن طُغْج الإخشيد[4] أولها :

هو الزمان مُشِتٌّ بالذى جمعا ... فى كلّ يومٍ ترى من صَرْفه بِدَعا
إنْ شئتَ مُتْ أسفًا أو فابْقَ مضطربًا ... قد حلّ ما كنتَ تخشاه وقد وقعا
لو كان ممتنعٌ تُغْنيه مَنْعته ... لم يصنع الدهرُ بالإخشيد ما صنعا[5]

وهى طويلة لم يحضرنى منها إلا هذه الأبيات

سؤاله كافوراً أن يوليه صيدا

وسأل أبو الطيب كافورًا أن يُوليه صَيْداء من بلادِ الشامِ أو غيرها من بلاد الصعيد ، فقال له كافور : أنتَ فى حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمتْ نفسُك إلى النبوة فإن أصبتَ ولايةً وصار لك أتباعٌ ، فمن يُطيقُك ؟

---

(١) المكرمات : النفوس الكريمة ، والضمير فى (خانته) يعود على النفوس ، والمعنى : إذا لم تحفظ النفوس حقه ولم تقم بخدمته فى السلم فكيف تخدمه فى الحرب ؟

* كذا فى الأصول ، وفى العبارة نقص يفهم من السياق

(٢) سائر النسخ : اشتهاره .

(٣) (رأيت) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) هو سيد كافور وقد تقدم أنه اشتراه من قوم من أهل مصر يعرفون ببنى عياش ، والإخشيد لقب أبى بكر محمد بن طغج لقبه به الخليفة الراضى قال ابن خلكان : وإنما لقبه به لأنه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم ، وتفسيره بالعربى : ملك الملوك .

(٥) روى الشطر الأول من هذا البيت محرفا فى حـ ، دهـ .

وقوع الوحشة بينهما

ثم وقعت الوحشةُ بينَهمَا ، ووَضَع عليه العيون والأرصاد خوفًا من أن يهرُبَ وأحسَّ المتنبي[١] بالشر . قال الوحيد[٢] كنت بمصرَ وبها أبو الطيب ، ووقفت من أمره على شَفَا الهلاك* ودعتْنى نفسى لحبِّ أهل الأدب إلى أن أحُثَّه على الخروج من مصرَ فخشيتُ على نفسى أن يشيعَ ذلك عنى ، وكان هو مستعدًّا للهرب ، وإنما فات أظافير الموت ، ومخالب المنية من قُرْب ، وهو جنى ذلك على نفسه ، لأنه ترك مدح ابن حنزابة[٣] وهو وزيرُ كافور ، والمقرَّبُ منه ، وهو مع ذلك من بيت شريف أهلِ وزارة ورياسة ومن العلم والأدب بموضع جليل ، وهو بابُ الملك ، فأتى من غير الباب ، وأنشد القصيدة اليائية ، وأولها « ما »[٤] يُتَطَيَّر منه . كيف لا وبرَاعتها[٥] :

كفَى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا ... وحسْبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيَا
تمنيتَها لما تمنيت أن ترَى ... صديقا فأعيا أو عدوًّا مُداجيا

قف

قلت : تذكرتُ بهذا البيتِ حكاية وهى[٦] ما حدث محمد بن الحسن الخوارزمى قال : مررت بمحمد بن موسى الملقب بسيبويه المُوَسْوَس* وهو يقول مدح الناس المتنبي على[٧] قوله :

---

(١) هذه الرواية غير معقولة ؛ لأن دهاء كافور يأبى عليه أن يواجه المتنبى بهذه الصراحة ، فقد كان يميل إلى إغرائه بالوعود ، واستبقائه فى ملكه ، ولعل أحد حساد المتنبى أوحى إلى كافور بمثل هذا ، أو أن كافورا أسر به لبعض حاشيته .

(٢) فى الأصول (الوحيدى) والصواب (الوحيد) وهو سعد بن محمد بن على بن الحسن الأزدى أبو طالب المعروف بالوحيد أحد شراح ديوان المتنبى ، مات سنة ٣٨٥ هـ (بغية الوعاة) .

* يقول إنه أوشك أن يصيبه الضرر والهلاك بسبب أمر المتنبى لأنه كان من المناصرين له المطلعين على خبيئة أمره .

(٣) ابن حنزابة هو الوزير جعفر بن الفرات أصله من العراق من بيت شرف ورياسة .

(٤) حـ ، د ، هـ : مما

(٥) يريد ومطلعها .

(٦) سائر النسخ : وهو .

* هو من البصرة وقد عاش بمصر أيام كافور ولقى بها المتنبى وناقشه فيما ذكره المؤلف وكان يشبه فى حضور جوابه وبيان خطابه وحسن عبارته وكثرة دراسته بأبى العيناء وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة ، له ترجمة فى اليتيمة حـ ١ ص ٤٣٣ ، ٣٤ مكتبة الحسين التجارية وله ترجمة وأخبار كثيرة فى زهر الآداب حـ ٢ ص ٧٩٠ — ٩٢ طبعة عيسى الحلبى .

(٧) ب ، حـ ، د : عن . هـ : عند ، وكلاهما تحريف .

ومن نكدِ الدنيا على الحرّ أن يرى عـــدوًّا له ما مِنْ صداقته بُدُّ

ولو قال ما من مداراته أو من مداجاته بُدّ لكان أحسن وأجود قال : واجتاز المتنبي به فوقف عليه وقال أيها الشيخ أحبّ أن أراك ، فقال له رعاك الله ، وحياك ، فقال له بلغني أنك أنكرتَ عليّ قولي : عدوًّا له ما مِنْ صداقته بُدُّ فما كان الصواب عندك ؟ فقال له إنّ الصداقة مُشتقة من الصدق في المودة ، ولا يسمى الصديق صديقا وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذن ضد العداوة ، ولا موقعَ لها في هذا الموضع ، ولو قلت ما من مداراته أو مداجاته لأصبْت . هذا رجل منا : يريد نفسه قال :

أتاني في قميص اللاذ[1] يسعى عـــدوٌّ لي يُلقب بالحبيبِ

فقال المتنبي : أمع هذا غيره ؟ قال نعم :

وقد عَبِث الشرابُ بوجنتـــيه فصير خدَّه كَسَنَا اللهيب
فقلتُ له متى استعملتَ هـــذا لقد أقبلتَ في زيّ عجيب
فقال الشمس أهدتْ لي قميصا مليحَ اللونِ من نسج المغيب
فثوبي والمدامُ ولونُ خـــدّي قريبٌ من قريب من قريب

فتبسم المتنبي وانصرف وسيبويه يصيح عليه : أُبْكم الرجل وحلال الله[2] وكأن[3] المتنبي يذكر قول سيبويه في هذا البيت . قال الوحيد[4] وهذا الابتداء مما تمجه الأسماع فقبح ابن حِنزابةَ أثره ، ثم لم يزل يذكر سواد كافور ، ووراءه

---

(١) اللاذ : ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم : اللاذ . (المخصص حـ ٤ ص ٦٨) .

(٢) و«جلال الله» كررت مرتين في حـ ، د ، هـ . ويدافع أبو الفتح عن أبي الطيب نقلا عن العكبري بقوله : لو قال ما من مداجاته لكان أشبه والذي قاله أحسن في اللفظ وأقوى في المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده ، وفي قوة المعنى أن المداجي المساتر للعداوة ، وقد يساتر العداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهو يعاني من ذلك أمراً عظيما ، ونكدا في الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجي .

(٣) سائر النسخ : «وكان» ولكل وجه .

(٤) صحح وترجم له في الصفحة السابقة هامش رقم (٢) .

من ينبه على عيوبه كقوله فى قصيدته التى أولها :

ذكره سواد كافور

إنمـا التهنئاتُ للأكفـاءِ ولمن يدَّنِى من البُعداء[١]

إلى أن قال :

إنمـا يفخـر الكريمُ أبو المسـ ـك بمـا يَبتنى من العلياءِ
وبأيامـه التى انسلختْ عنـ ـه وما دارُه سوى الهيجاء
وبمـا أثّرت صوارمُه البيـ ـضُ له فى جماجم الأعداء
وبمسك يُكْنى بـه ليس بالمسـ ـك ولكنه أريجُ الثنـاء

ومنهـا[٢] :

نزلتْ إذ نزلْتهَا الدارُ فى أحـ ـسنَ منهـا من السنا والسناء
حلّ فى مَنْبت الرياحين منها[٣] منبتُ المكـرمات والآلاء
تفضحُ الشمسَ كلما ذرّت الشمـ ـس بشمسٍ منيرة سوداءِ
إن فى ثوبك الذى المجـدُ فيه لَضياءٌ يُزرى بكل ضيـاء[٤]
إنما الجلد مَلْبَسٌ وابيضاضُ النـ ـفسِ خيرٌ من ابيضاضِ القَباء
كرمٌ فى شجاعة وذكاءٌ فى بهـاء وقدرةٌ فى وفاء
مَنْ لبيضِ الملوكِ أن تُبْدل اللوْ ـن بلون الأستاذ والسَّحناء[٥]
يا رجاءَ العيـون فى كل أرض لم يكن غيرَ أن أراك رجائى

فكان يقول ابن حِنْزَابَة إنه هزئ[٦] بكافور فى هذه الأبيات ، ويسهل على الناس أمر لونه ، ويحسنه له . قال الوحيد : كان المتنبى يعلم أن ذكر السواد

---

(١) يقال إن الأسود بنى داراً بإزاء الجامع الأعلى فى القطائع على بركة الفيل بالقرب من حى طولون ، وتحول إليها ، وهنأه الناس بها وطالب أبا الطيب بأن يقول فى ذلك ، فقال : إنما التهنئات . . .

(٢) ساقطة من حـ ، د ، هـ وهى لازمة لأن هذه الأبيات ليست متتابعة كما يعلم من الديوان .

(٣) كذا فى الديوان . وفى جميع النسخ : منه .

(٤) ذرت الشمس : بدت أول ما تطلع ، وأراد بالإنارة الشهرة لأن المشهور منير أو النقاء من العيوب ، ويدل على هذا المعنى الذى يليه .

(٥) السحناء : الهيئة .

(٦) حـ ، د ، هـ : هذى .

على مسامع كافور أمرٌ من الموت فاذا ذكّرَ لونَه بعد ذلك فقد أساء إلى نفسه وعرّضها للقتل والحرمان ، وكان من إحسان الصنعة ، وإجمال الطلب ألاّ يذكر لونَه ، وله عنه[١] مندوحةٌ ، ولكن[٢] الرجل كان سيئَ الرأى ، وسوءُ رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة ، وشدةُ[٣] تعرضه لعداوة الناس ، وقد ذكر سوادَ كافور فى عدة مواضع ، وكان اللائق ألاّ يذكره إلا كقوله :

فجاءتْ بنا إنسانَ عينِ زمانــه وخلّتْ بياضًا خلفها ومآقيا[٤]

وهذا فى أعلى طبقات الإحسان[٥] لكونه كنى عن سواده بانسان عين الزمان . ومن هذه القصيدة :

فتًى ما سريْنا فى ظُهور جدودنا إلى عصره إلاّ نُرَجّى التلاقيا

ومنهــا :

أبا المسكِ ذا الوجهُ الذى كنتُ تائقا إليه وذا الوقتُ الذى كنتُ راجيا[٦]
أبا كلّ طيب لا أبا المسكِ وحدَه وكلّ سحاب لا أخصُّ الغواديا

---

(١) د ، هـ : عنده ، تحريف .
(٢) حـ ، د ، هـ : وكان ، تحريف .
(٣) وشدة : بالرفع عطف على : وسوء رأيه .
(٤) كذا فى الديوان ، حـ ، د ، هـ . وفى ا ، ب : وجازت وهى ضعيفة . والضمير فى : « فجاءت » يعود إلى الجرد فى البيت : وجردا ممددنا بين آذانها القنا . والمآقى جمع مأق وهو طرف العين مما يلى الأنف . ومعنى البيت أن كافورا بمنزلة السواد من العين ، وغيره بمنزلة البياض الذى لا ينتفع به فى النظر ، وهذا البيت فى معنى قول ابن الرومى فى سوداء :

أكسبها الحب أنهــا صبغت صبغة حب القلوب فى الحدق

إلا أن المتنبى فضل السود على البيض ، وقال بعض النقاد ما مدح أسود بأحسن من هذا ، وفى تفضيل السواد على البياض جاء قول الشريف الرضى يصف سوداء :

أحبــك يا لون الشباب لأننى رأيتكما فى العين والقلب توءما
سكنت سواد القلب إذ كنت شبهه فلم أدر من عز من القلب منكما

(٥) حـ ، د ، هـ : طبقات البلاغة والإحسان .
(٦) الديوان : « وذا اليوم » بدل : « وذا الوقت » . وأبو المسك كنية كافور لسواده ، والبيت يحتمل الهجاء أيضاً .

يُدِلُ بمعنى واحدٍ كلُّ فاخرٍ وقد جمع الرحمـــن فيك المعانيا[١]
ومن قـــول ســـامٍ لو رآك لنسله فِدًى ابن أخى نسلى ونفسى وماليا[٢]

قال أبو الفتح بن جنى لما قرأتُ قولَه فى كافور على أبى الطيِّب :

وما طربى لما رأيتُك بِدعةً لقد كنتُ أرجو أن أراك فأطربُ[٣]

فقلت له لم تزد[٤] على أن جعلته أبازَنّة[٥] ، فضحك أبو الطيب ، فإنه بالذمّ أشبهُ منه بالمدح. وبعد هذا البيت :

وتَعْـــذُلنى فيـــك القوافى وهمّتى كأنّى بمدحٍ قبل مدحِكَ مذنبُ[٦]

ومن هذه القصيدة :

وأخـــلاقُ كافور إذا شئتُ مدحَه وإن لم أشـــأ[٧] تُملى علىّ وأكتبُ
إذا تـــرك الإنسانُ أهـــلا وراءه ويمّمَ كافـــوراً فـــا يتغربُ[٨]

---

(١) هو من قول الحكمى : كأنما أنت شىء حوى جميع المعانى .
ويقول ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت ، وضحك ، وعرف غرضى وهو أنه قصد به الهجاء .

(٢) حـ ، د ، هـ : ومن قول سام لا أراك . . . تحريف ، وسام هو ابن نوح ينسب إليه البيض ، وحام أخوه ، وينسب إليه السودان ، والمعنى : لو رآك سام بن نوح لكان من قوله لنسله هذه العبارة : فدى ابن أخى نسلى ونفسى ومالى .

(٣) كذا فى الديوان . جميع النسخ : وما طربى أنى . . . ما عدا (ب) ففيها « أن » تحريف .

(٤) « لم » ساقطة من ب ، د ، هـ .

(٥) أبازنة : كنية القرد .

(٦) الشطر الأول هجاء صريح لولا الشطر الثانى وهو من قول أبى تمام :

وهل كنت إلا مذنبا يوم أنتحى سواك بآمالى فجئتك تائبـــا

(٧) كذا فى « ا » والديوان . وفى سائر النسخ « تشأ » ولا تتفق مع السياق .

(٨) هذا من قول الطائى :

هم رهط من أمسى بعيدا رهطه وبنو أبى رجل بغير بنى أب

وهذا من قول الآخر :

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الأوطان فى زمن المحل
فما زال بى إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهـــلى

وواضح جداً تفوق المتنبى على هذين .

ومنها[١] :

إذا ضربتْ فى الحرب بالسيف كفُّه ... تبيّنتَ أن السيفَ بالكفّ يضربُ[٢]

تزيدُ عطـاياه على اللّبثِ كثرةً ... وتلبثُ أمـواهُ السحابِ فتَنضُبُ

أبا المسكِ هل فى الكأس فضلٌ أنا له ... فإنى أُغنى منذ حين وتشرب[٣]

وهبتَ على مقدار كفّىْ زمانَنـا ... ونفسى على مقـدار كفّيْكَ تطلب

إذا لم تَنُطْ بى ضَيْعةً أو ولايـةً ... فجودُك يكسونى وشغلُك يسلب[٤]

يضاحكُ فى ذا العيدِ كلُّ حبيبه ... حذائى وأبكى مَنْ أُحبُّ وأندب[٥]

أحِنُّ إلى أهلى وأهـوى لقـاءهمْ ... وأين من المشتاق عَنْقاء مُغرِبُ[٦]

فإن لم يكن إلاّ أبو المِسك أوْهُمُ ... فإنك أحلى فى فؤادى وأعـذبُ

إلى أن قال فى أثنائهـا :

وأظلمُ أهلِ الظلمِ من بات حاسدًا ... لمن بات فى نعمائه يتقلبُ[٧]

وهذا البيت يستخرج منه[٨] معنيان ضدان أحدهما أن المنعم يَحْسُدُ المنعَمَ عليه[٩] ، وكذلك[١٠] ورد قوله فى كافور :

فإن نلتُ ما أملتُ منك فربمـا ... شربت بماءٍ يُعجز الطيرَ وِردُه

---

(١) ساقطة من سائر النسخ والأبيات غير متتابعة كما فى الديوان .

(٢) ومثله للبحترى :

فلا تغلين بالسيف كل غلاته ... لمضى فإن الكف لا السيف يقطع

(٣) يتدنى فى الطلب أبو الطيب فى هذا البيت .

(٤) شغلك يسلب أى أن انصرافك عنى يسلبنى ما كسوتنى من جود ونعمة .

(٥) فى هذا إيقاظ لكافور واستنهاض له .

(٦) عنقاء مغرب على الوصف والإضافة من قولهم : أغرب فى البلاد وغرب إذا أبعد وذهب وهو مثل قيل كانت طائرا عظيما اختطفت صبيا وجارية وطارت بهما فدعا عليها حنظلة بن صفوان وكان نبى ذلك الزمان فغابت إلى اليوم فقيل لكل من فقد طارت به عنقاء مغرب . والعنقاء اسم للذكر والأنثى وهذا من خرافات العرب ومزاعمهم .

(٧) كذا فى ا ، ب ، الديوان . حـ ، د ، هـ : لمن كان . . .

(٨) حـ ، د ، هـ : له .

(٩) وثانيهما على العكس من الأول . ويحتمل معنى ثالثاً هو أن أظلم الظالمين من بات يحسد رب كل نعمة كائناً من كان .

(١٠) سائر النسخ : ولذلك .

فإنه إذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه بالذم أولى منه بالمدح ؛ لأنه يتضمنُ وصفَ نواله بالبعد ، وصدر البيت مفتتح بإن الشرطية ، وقد أجيبت بلفظ رب التى معناها التقليل[١] أى لست من نوالك على يقين ، فإن نلته فقد وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده .

المدح الموجه

وكثيراً ما يقصد المتنبى هذا القسم[٢] فى كافورياته كقوله :

عدُوك مذمومٌ بكلّ لسانِ ... ولو كان من أعدائك القمران

ولله سرٌّ فى عُلاك وإنمـا ... كلامُ العدا ضربٌ من الهذيان[٣]

إلى أن قال فى أواخرها[٤] :

قضى الله يا كافورُ أنكَ أولٌ ... وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانِ

فما لكَ تختار القسىّ وإنمـا ... عن السعد يرمى دونك الثقلان

وما لك تُعنى بالأسنة والقنـا ... وجلدُك طعّان بغير[٥] سنان

ولِمْ تحملُ السيفَ الطويلَ نجادُه ... وأنت غنىٌّ عنه بالحدثان[٦]

---

(١) ا : التعليل . تحريف .

(٢) يظهر لنا أن هذا الكلام منقول من كتاب المثل السائر : الفصل الثالث فى الحكم على المعانى ففيه ذكر الفرق بين التفسير والتأويل وأن التأويل على أقسام ثلاثة : منها أن يدل الكلام على المعنى وضده وهو قليل الوقوع فى الكلام ، ويدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه وقد ذكر أمثلة لذلك منها بيت المتنبى : وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا . . . ومنها : فإن نلت ما أملت منك . . . ثم قال : وكثيراً ما يقصد المتنبى هذا القسم فى شعره فهذا القسم أى من أقسام التأويل التى ذكرها صاحب المثل السائر .

(٣) هذا البيت إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو وإن كان ساقطاً باتفاق من القضاء .

(٤) حـ ، د ، هـ : آخرها .

(٥) كذا فى الديوان : وجميع النسخ : بكل . ورواية الديوان أجود فى المدح .

(٦) يشير فى هذا البيت والبيتين قبله إلى مصرع شبيب الذى لم يقتل بشىء من السلاح ، وشبيب هذا هو شبيب بن جرير العقيلى كان والياً بعمان والبلقاء وما بينهما وقد عظم أمره حتى اجتمعت إليه العرب وكثرت حوله وطمع فى الأسود وسولت له نفسه أخذ دمشق والعصيان بها وبعد أن كاد يفتح دمشق سقط عن جواده ميتا وهزم أصحابه ، وأخذ رأسه إلى مصر ، فطالب الأسود أبا الطيب بذكره فأنشد هذه القصيدة ومنها :

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه ... رفيقك قيسى وأنت يمـان

وبعد ذلك تستطيع أن تفهم أن كافوراً ينتصر بالحظ لا بالشجاعة ولذلك من الممكن أن نفهم أن هذه الأبيات هجاء أيضاً .

وهذا مما[١] يدل على براعة البليغ وقدرته على المعانى ، ومثله ورد فى الحديث النبوى من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستحى[٢] فاصنع ما شئت) فهذا الحديث على معنيين ضدين[٣] ومثله قول الفرزدق[٤] :

إذا جعفر مرتْ على هضْبــة الحمى ... فقد أخرَزَت الأحياءَ منها قبورُها[٥]

فإنه يدل [أيضًا][٦] على معنيين : أحدهما ذم الأموات ، والآخر مدح الأموات[٧] . وقوله أيضًا فى كافور :

فِدًى لأبى المسك الكــرامُ فإنها ... سوابقُ خيــل يهتدين بأدهم[٨]
أغــرَّ بمجدٍ قد شخصن وراءه ... إلى خُلُقٍ رَحْبٍ ، وخَلْقٍ مُطهَّم[٩]

ومن رام معرفةَ مُرادِ أبى الطيب فى هذين البيتين فعليه بقول ابن الرومى وهو[١٠] :

هم الغرةُ البيضاءُ من آل مُصْعَبٍ ... وهُمْ بقعةُ التحجيل والناسُ أدْهم

مدحه ورثاؤه لفاتك

وكان أبو الطيب يأنس بمصر بفاتك الإخشيدىّ المعروف بالمجنون ، ومدحه بالقصيدة التى أولها :

---

(١) هـ : ما .

(٢) سائر النسخ : إذا لم تستح وهى رواية .

(٣) أحدهما إذا لم تفعل فعلا تستحى منه فافعل ما شئت ، والآخر إذا لم يكن عندك حياء يزعك عن فعل ما يستحى منه فافعل ما شئت والأول مدح والثانى ذم .

(٤) الفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب أحد فحول الشعراء الأمويين وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرها . ويمتاز شعره بفخامة الألفاظ وخشونة المعانى والميل إلى الفخر مات سنة ١١٤هـ.

(٥) جعفر بن كلاب أبو قبيلة .

(٦) ساقطة من ا ، ب .

(٧) أما ذم الأموات فهو أن لهم مخازى يستحيى منها أبناؤهم إذا مروا بقبورهم . وأما مدحهم فهو أنهم ثبتوا فى المعركة وفر عنهم الأحياء .

(٨) الضمير فى « فإنها » عائد على الكرام والذى حمله على أن يقول « فإنها » أنه شبههم بالسوابق ولو قال : فإنهم سوابق لكان جيدا .

(٩) أغر : ذو غرة وهو صفة لأدهم فى البيت قبله . شخصن : رفعن أنظارهن . مطهم : حسن أوتام الخلقة .

(١٠) وهو : ساقطة من سائر النسخ .

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مـــالُ فَلْيُسْعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ[١]
وَاجِزْ الأميرَ الذى نعماه فاجئةٌ بغير قول ونُعمى الناس أقوال[٢]

فتُوفى فاتك[٣] ورثاه المتنبى وهجا كافورا بقصيدة أولها :

الحزنُ يُقلق والتجمّلُ يَرْدع والدمعُ بينهما عصىّ طيِّعُ

ومنهـــا :

تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عما مضى فيها وما يُتوقع

ومنهـــا :

كنـــا نظنُّ ديـــارَه مملوءةً ذهبًا فمات وكل دار بلقعُ
المجد أخسرُ والمكارمُ صفقةً من أن يعيش لها الكريمُ الأروع[٤]

ومنها :

يا من يُبـــدّل كـــلَّ يوم حُلّةً أنّى[٥] رضيتَ بحُلّةٍ لا تُنزع[٦]
لا[٧] زلتَ تخلعها على من شاءها حتى لبستَ اليومَ مالا يُخلع

ومنها :

مَنْ للمحافِلِ والجحـــافل والسُّرى فتَقَدّتْ بفقـــدكَ نيّراً لا يَطلُع
ومن اتخذت على الصفوف[٨] خليفةً ضاعـــوا ومثلُك لا يكاد يُضيّع

---

(١) يخاطب الشاعر نفسه وهذا من قول يزيد بن المهلب :

إن يعجز الدهر كفى عن جزائكم فإننى بالثنا والشكر مجتهـــد

(٢) ا ، ب والديوان : فاجئة . سائر النسخ : واجبة . وفى هذا تعريض بكافور وقد صرح بهذا المعنى فى كافور إذ يقول :

جود الرجال من الأيدى وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

(٣) قال ابن جنى : كان المتنبى يترحم على فاتك ولم أره أشكر لأحد من فاتك .

(٤) الأروع : الذكى الفؤاد . والمعنى : شقيت المكارم والمجد بموت من كان يعززها . الديوان : الهمام .

(٥) أنى : كيف .

(٦) حـ ، د ، هـ : لا تنفع .

(٧) الديوان وسائر النسخ : ما زلت . وفى حـ ، د ، هـ : شانها فى موضع شاءها. تحريف .

(٨) الديوان وسائر النسخ : الضيوف .

قبحًا لوجهك يا زمانُ فإنه ... وجهٌ له من كل لؤم[١] بُرقُع[٢]
أيموتُ مثلُ أبى شجاع فاتك ... ويعيشُ حاسدُه الخصىُّ الأوكعُ[٣]

وله فيه أيضًا من قصيدة* قالها بعد رحيله من مصر وهى[٤] :

من لا تشابهُه الأحياءُ فى شِيَمٍ ... أمسى[٥] تُشابهُه الأمواتُ فى الرِّمَمِ
عَدِمْتُه وكأنى سرتُ أطلبه ... فما تَزيدنىَ الدنيا على العَدَمِ
ما زلت أضْحك إبلى كلّما نظرتْ ... إلى مَن اختضبتْ أخفافُها بدَمِ[٦]
أسيرها بين أصنامٍ أشاهدها ... ولا أشاهدُ فيها عِفّةَ الصنمِ[٧]
حتى رجعتُ وأقلامى قوائلُ لى ... المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلمِ[٨]
اكتبْ بنا أبداً بعد الكتابِ به ... فإنما نحن للأسياف كالخدمِ[٩]
أسمعتنى[١٠] ودوائى ما أشرتِ به ... فإن غفلتُ فدائى قلةُ الفهَمِ
من اقتضى بسوى الهندى حاجته ... أجاب كلَّ سؤال عن هلٍ بلِمِ[١١]

---

(١) الديوان : قبح .
(٢) حـ ، د ، هـ : موقع مكان برقع .
(٣) كذا فى ا ، والديوان . سائر النسخ : الأكتع . والأوكع وصف من الوكع وهو عيب فى اليد والرجل ويكون فى العبد ، والأوكع : الأحمق أيضاً . والأكتع : من الكتع وهو تشنج فى اليد .
* مطلعها :

حتام نحن نسارى النجم فى الظُّلَمِ ... وما سراه على خف ولا قدمِ

(٤) وهى : ساقطة من سائر النسخ .
(٥) كذا فى الديوان . وفى سائر النسخ : أمست .
(٦) يقول : ما زلت أسافر عليها إلى ما لا يستحق القصد إليه فلو كانت الإبل ممن يضحك لضحكت استخفافاً إذا نظرت إلى من كلفتها مشقة السفر وقطع الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم .
(٧) يذم بعض من يقصدهم بأنهم كالأصنام بل الأصنام أفضل منهم لأنهم لا يعفون عن منكر ولا قبيح .
(٨) فى هذا البيت نظر إلى قول أبى تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

(٩) الكتاب : الكتابة . جعل الضرب بالسيف كتابة والبيت من قول البحترى :

تعنو له وزراء الملك خاضعة ... وعادة السيف أن يستخدم القلما

(١٠) الخطاب للأقلام وقد أكده بالبيت بعده .
(١١) يقول : من طلب حاجته بغير السيف أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك؟ بقوله لم أدرك . والمتنبى شاعر يدين بالقوة ويراها الوسيلة العملية لدرك المطالب وهو الذى يقول :

من أطاق التماس شىء غلابا ... واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

وآخر ما مدح به كافورًا قصيدته التى أولها :

مُنَّى كُنَّ لى أن البياضَ خِضابُ ... فيخْفى بتبييض القرونِ شبابُ[١]

ليالىَ عند البيض فَوْدای فتنةٌ ... وفخرٌ وذاك الفخرُ عندىَ عابُ[٢]

فكيف أذمّ اليوم ما كنتُ أشتهى ... وأدعو بما أشكوه حين أجاب[٣]

جلا اللونُ عن لون هدَى كلَّ مسلكٍ ... كما انجاب عن ضوءِ النهار ضباب[٤]

وفى الجسم نفسٌ لا تشيبُ بشيبه ... ولو أن ما فى الوجه منه حِراب[٥]

لها ظُفُرٌ إنْ كلَّ ظُفْرٌ أعِدَّه ... ونابٌ إذا لم يبقَ فى الفم ناب[٦]

يُغيّر منى الدهرُ ما شاء غيرَها ... وأبلغ أقصى العُمْرِ وهْى كَعاب[٧]

وإنى لنجمٌ تهتدى صُحبتى به ... إذا حال من دون النجوم سَحاب

غنىَّ عن الأوطانِ لايستفزنى ... إلى بلدٍ سافرتُ عنه إياب

ومنها :

وهل نافعى أن تُرفعَ الحُجْبُ بيننا ... ودونَ الذى أمَّلتُ منكَ حجابُ[٨]

---

(١) القرون : الذوائب أى ضفائر الشعر . يقول : إنه لرغبته فى شرف المشيب لأنه أوقر وأجل فى العين كان يتمنى فى شبابه أن يكون بياض الشيب خضابا يستر به سواد الشعر كما يستر الشيوخ بياضه بالسواد .

(٢) الفودان : جانبا الرأس . كان يتمنى المشيب فى الليالى التى كان رأسه فيها فتنة عند النساء لحسن شعره وسواده . وكن يفتخرن بوصله ، إلا أن ذلك الفخر عيب عنده لأنه مباين للعفة والكمال .

(٣) المعنى : فكيف أشكو الشيب اليوم وقد كنت أتمناه وأنا شاب . وقد احتذى فى هذا ابن الرومى حيث يقول :

هى الأعين النجل التى كنت تشتكى ... مواقعها فى القلب والرأس أسود

فما لك تأسى الآن لما رأيتها ... وقد جعلت ترمى سواك وتعمد

فنقل نظر الأعين إلى ذكر المشيب والشباب .

(٤) جلا : كشف . وأراد باللون الأول السواد وبالثانى البياض والمعنى : كأن بياض الشيب كان مستورا تحت السواد فلما زال السواد عنه انكشف فاهتدى صاحبه فى كل مسلك من الرشد كالنهار إذا انكشف عنه الضباب فاهتدى السالك فى ضوئه .

(٥) سائر النسخ : لا تشيب بشيبة . ، جراب مكان حراب وهذه تحريف ويريد بالبيت أن همته قوية .

(٦) لها : أى للنفس والبيت حرف فى سائر النسخ .

(٧) الكعاب : الفتاة تكعب ثديها وبرز .

(٨) فى هذا تصريح بأنه لم ينل ما كان يأمل فى كافور وأوضح منه ما مر من قوله :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله ... فإنى أغنى منذ حين وتشرب

أُقلُّ سلامى حُبَّ ما خفَّ عنكمُ وأسكتُ كيما لا يكونَ جواب[١]
وفى النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكـوتى بيانٌ عندها وخطاب[٢]

وانقطع أبو الطيب بعد إنشاد هذه القصيدة لايلقى الأسودَ إلاَّ أن يركبَ فيسيرَ معه فى الطريق ، وعمِل[٣] على الرحيل، وقد أعدّ كلَّ مايحتاج إليه على ممر الأيام بلطف ورفق ، ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة فى المُقام ، وطال عليه التحفظ ، فخرج ودفن الرماح فى الرمال ، وحمل الماء على الإبل لعشرِ ليال ، وتزود لعشرين ، وقال فى يوم عرفة من سنة خمسين[٤] وثلاثمائة قبل سيره من مصر بيوم :

عيدٌ بأيّة حالٍ عُدْتَ ياعيدُ بما[٥] مضى أم لِأمر فيكَ تجديدُ

ومنها :

إنى نزلتُ بكذابين ضيفُهمُ عن القِرى وعن التَّرحال محدودُ
جودُ الرجالِ من الأيدى وجودُهمُ من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

ومنها :

أكلما اغتال عبدُ السوءِ سيدَه أو خانه فله فى مصرَ تمهيدُ
صار الخصىُّ إمامَ الآبقين بها فالحرُّ مستعبَدٌ والعبدُ معبود

وآخرها :

أولى اللئامِ كُوَيفيرٌ بمعذِرة فى كل لؤم وبعضُ العذرِ تَفْنيدُ[٦]

---

(١) يقول : إنى أقلل من زياراتى وسلامى رغبة فى ألا أثقل عليكم .

(٢) يشير بهذا أيضاً إلى ما فى نفسه من الحصول على ولاية من كافور .

(٣) حـ ، د ، هـ : عجل . تحريف .

(٤) هـ : سنة ٣٥٣ . تحريف .

(٥) حـ ، د ، هـ : بما .

(٦) الأصل : بمعتذر مصدر ميمى بمعنى الاعتذار . الديوان وسائر النسخ : بمعذرة وهذا أشهر . التفنيد : اللوم وتضعيف الرأى . ومعنى البيت أن أولى من عذر فى لؤمه كافور لخسة أصله وضعة قدره . وبعض العذر لوم وهجاء . يريد : أن عذرى فى لؤمه لوم .

وذاك أنّ الفحولَ البيضَ عاجــزةٌ عن الجميل فكيف الخصيةُ السود[١]

هربه من مصر

وفى يوم العيد سار من مصر هاربًا ، وأخفى طريقه ، فلم يؤخذ[٢] له أثَر ، حتى قال بعض أهل البادية : هبه سار فهل محا أثره ؟ وقال بعض المصريين إنما عمل طريقًا تحت الأرض ، وتبعته البادية والحاضرة من سائر[٣] الجوانب ، وبذَل كافورٌ فى طلبه ذخائر الرغائب ، وكتب إلى عماله[٣] فى سائر أعماله[٤] ، ودخل أبو الطيب إلى موضع يُعرف بنَخْل بعد أيام ، وسار حتى قَرُبَ من النقاب[٥] فرأى رائدين لبنى سُلَيم[٦] على قَلوصين[٧] ، فركب الخيل ، وطَرَدهما ، حتى أخذهما ، فذكرا له أن أهلهما أرسلوهما رائدين ، فاستبقاهما وردّ عليهما القَلُوصَين وسلاحَهما ، وسارا معه[٨] حتى توسط بيوتَ بنى سُلَيم آخر الليل ، فضرب له

---

(١) الرأى فى مدح المتنبى كافورا وهجائه إياه أن المتنبى كان متردداً فى قصده غاية التردد لأن أحوالا قاسية هى التى أرغمته على مفارقة سيف الدولة الأمير العربى الأريحى وقد كان يرجو عنده كل أمانيه فاضطرته هذه الأحوال إلى أن يقصد كافورا وغيره من الذين لا يرى استحقاقهم ما نعموا به من ملك وسطوة وبخاصة أنه عربى يمقت الموالى وتكاد نفسه تنفطر مما أصاب دولة العرب وتوزعها بينهم وفى ذلك يقول :

وإنمــا النــاس بالملوك وما تفلــح عرب مــلوكها عجم
فى كل أرض وطئتهــا أمم ترعى بعبــد كأنهــا غنم

وكان فى الوقت نفسه يرى حاجته إلى المال ويتطلع إلى أن ينال عند كافور ما لم ينل عند سيف الدولة فيمدحه ثم تعاوده خواطره فيتردد حتى يأتى الشعر ظاهره مدح وباطنه هجاء لاذع ثم يهجوه صريحاً بعد أن ييأس منه ويفارقه فمدحه كافورا لهذا لم يكن صادراً عن عاطفة صادقة ولهذا لا نجده فى جودة مدحه سيف الدولة ولكن هجاءه كان موجعاً حقاً .

(٢) سائر النسخ : يوجد .

(٣ – ٣) ما بين الرقمين ساقط من حـ .

(٤) أعماله : ولاياته ..

(٥) النقاب : موضع قرب المدينة المنورة ينشعب منه طريقان إلى وادى القرى ووادى المياه ذكره أبو الطيب فقال :

وأمست تخــيرنا بالنقــا ب وادى المياه ووادى القرى

ونخل : موضع غربى مسجد الأحزاب وقيل هو على ثلاثة أميال من المدينة وقيل منهل دون المدينة .

(٦) بنو سليم : من العرب الضاربين قرب المدينة .

(٧) القلوص : الفتى من الإبل للذكر والأنثى .

(٨) ب ، حـ ، د ، هـ : وسار معهما .

مُلاعِبٌ[١] خيمة بيضاءَ ، وذبح له ، وسار إلى النقيع[٢] ، فنزل ببادية مَعْن ، فذُبح له ، وسار إلى أن دخل حِسْمَى[٣] ، وهى أرضٌ كثيرةُ النخل ، وطابت له حِسْمى ، فأقام بها شهراً ، وكان نازلا بها عند وَردانَ بنِ ربيعةَ الطائىّ ، فاستغوى عبيدَه ، وأجلسهم مع امرأته ، فكانوا يسرِقون له الشىء بعد الشىء من رحله . وكاتب الأسودُ سائرَ قبائِل العرب فى طلبه ، وظهر لأبى الطيب فسادُ عبيدِه ، وكان وردانُ الطائىُّ يرى عند أبى الطيب سيفاً مستوراً ، فسأله أن ينظرَه ، فأبى ، لأنه كان على قائمته مِئةُ مثقال من الذهب ، وكان السيف ثميناً[٤] ، فجعل الطائىّ يحتال على العبيد بامرأته ، طمعاً فى السيف ، لأن بعضهم أعطاه خبره ، فلما أنكر أبو الطيب أمر العبيد ، ووقف على مكاتبة الأسودِ ، ترك عبيدَه نياماً ، وتقدم إلى الجِمال فشدّ عليها أسبابَه ، وسار والقوم لا يعلمون برحيله ، وطرح عبيده على الإبل وهم لا يعلمون[٥] ، وأخذ فى المسير ، وأخذ بعض العبيد السيف فى الليل ، فدفعه إلى عبدٍ آخر مع فرسه ، وجاء ليأخذ فرس أبى الطيب ، فتنبه له ، فقال الغلام : أخذ العبدُ الفرسَ يُغالطه ، وعدا نحو الفرس ليقعد فى ظهره فالتقى هو وأبو الطيب عند الحصان ، وسلّ العبدُ السيفَ فضرب رسنه ، وضرب أبو الطيب وجه العبد ، وأمر الغلمانَ بقتله ، وكان هذا العبد أشدّ من معه وأفرس ، فقال أبو الطيب القطعة التى أولها :

أعددت للغادرين أسيافَنا أجدعُ منهم بهن آنافا

---

(١) رجل من بنى سليم .

(٢) ا ، ب : اليفع . حـ ، د ، هـ : البقيع والصواب فى كل هذا النقيع بالنون وهو النقيع المحمى الذى حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لخيل الجهاد وزاد فيه سيدنا عمر ثم سيدنا عثمان من بعده وهناك نقيع آخر وهو نقيع الخضمات. وأما البقيع فهو مقبرة أهل المدينة فى داخلها. انظر معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى النقيع المحمى .

(٣) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان وأهل تبوك يرون جبل حسمى فى غربيهم وحسمى مسكن جذام من العرب وقد أشار ياقوت إلى أن المتنبى قد مر بحسمى ووصفها بأنها أرض طيبة .

(٤) كذا فى ا وفى ب : يمينا ولعلها يمنيا . حـ ، د ، هـ : يمانيا وهذا هو الأقرب .

(٥) هذا كلام أشبه بالخرافة .

وقال أيضًا يهجو وردان :

إن تك طَيِّئٌ كانت لئاما ... فألأمها ربيعةُ أو بنوهُ (١)
وإن تك طيئٌ كانت كراما ... فوَرْدانٌ لغيرهمُ أبوهُ (٢)
مررْنا منه فى حِسْمَى بعبدٍ ... يَمُجُّ اللؤمَ مَنْخِرُه وَفُوهُ
أشذّ بِعِرسه عَنّى عبيدِى ... فأتلفهم ومالِىَ أتلفوهُ
فإن شَقِيتْ بأيديهم جيادى ... لقد شقيتْ بِمُنصُلِىَ الوجوهُ

ثم لما توسط بُسَيطة (٣) وهى أرضٌ تقربُ من الكوفة ، رأى بعضُ عبيده ثورًا (٤) يلوح * فقال هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة فقال هذه نخلة ، فضحك أبو الطيب وضحكت البادية (٥) التى كانت معه وقال :

بُسيطةُ مهلاً سُقيتِ القِطارا ... تَرَكْتِ عيونَ عبيدى حَيارَى
فظنوا النعامَ عليك النخيلَ ... وظنوا الصُّوار (٦) عليك المنارَا
وأمسك صحبى بأكوارهم ... وقد قَصَد النومُ فيهم وحارَا (٧)

ذكر دخوله الكوفة

وسار أبو الطيب حتى دخل الكوفةَ فى شهر ربيع (٨) الآخر سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، ونظم المقصورة التى أولها :

ألا كل ماشيةِ الخيزلَى ... فِدًى كلّ ماشيةِ الهَيذبَى (٩)

---

(١) حـ ، د ، هـ : إذا كانت بنو طى لئاما . الديوان : لئن تك طيئٌ كانت لئاما .
(٢) حـ ، د ، هـ : وإن كانت بنى طى كراما . الديوان : وإن تك طيئ كانت كراما .
(٣) بسيطة : بلفظ التصغير أرض فى البادية بين الشام والعراق ، وهى أرض مستوية وليس بها ماء ولا مرعى ، سلكها أبو الطيب المتنبى لما هرب من مصر إلى العراق . ياقوت .
(٤) كذا فى ا ، ب . وفى معجم ياقوت : ثورا وحشيا . وفى حـ ، د ، هـ : نورا (بالنون) .
* زيادة من ب .
(٥) البادية : من معه من البدو . (٦) القطيع من البقر الوحشى .
(٧) الديوان : فأمسك ، الضحك بدل النوم وسياق الكلام يرجح الضحك . هـ : بأنوارهم مكان بأكوارهم تحريف .
(٨) حـ : جمادى فقط . ب ، د ، هـ : جماد الآخر . الديوان شرح الواحدى : ربيع الأول .
(٩) سائر النسخ والديوان : الهيذبى وهى بمعنى الهيذبى فى إحدى روايات الديوان .
الخيزل : مشية للنساء فيها تثاقل وتفكك . الهيذبى : ضرب من مشى الخيل فيه جد . يقول كل امرأة حسنة المشية فدى كل فرس سريعة الخطو يعنى أنه من أهل السيف تعجبه الخيل القوية على السير وليس من يعشقون النساء ويتغزلون بمحاسن مشيهن والقصيدة طويلة .

وصف فيها مسيره عن مصر ، وذكر المنازلَ التى قطعها ، وهجاكافورا ، وعرض بجعفر بن الفرات ، ثم توجه إلى مدينة السلام[١] .

[أبوالطيب فى مدينه السلام] *

ما جرى له مع الحاتمى

قال أبو على الحاتمىّ[٢] : كان أبو الطيب عند وروده مدينةَ السلامِ ، قد التحفَ برداءِ الكِبْر والعظمة ، يُخَيِّلُ له أن العلمَ مقصورٌ عليه ، وأن الشعرَ لا يَعْرِف عذبَه غيرُه ، ولا يَقْطف نُوَّارَه سواه ، ولا يرى أحداً إلاّ ويرى لنفسه مزيةً عليه ؛ حتى إذا تخيّل أنه نسيجُ وحدِه ، وأنه مالكُ رِقّ العلم دون غيره ، وثَقُلَتْ وطأتُه على أهلِ الأدبِ بمدينة السلامِ ، وطأطأ كثيرٌ منهم رأسَه ، وخَفَضَ جناحَه ، واطمأن على التسليم جأشُه ، وتخيل أبو محمد المهلّبى أنه لا يتمكن أحد من مساجلته ومقارعته ، ولا يقوم لمجادلته ؛ والتعلق بشىء من مطاعنه ، وساء مُعِزَّ الدولة[٣] أن يَرِدَ على حضرتِه رجلٌ صدرَ عن حضرة عدوّه[٤] ، ولم يكن بمملكته أحدٌ يُماثلُه فيما هو فيه ، ولا يساويه فى منزلته يبدى لهم عَوارَه ويكْفى آثارَه ، ويهتك أستاره ويمزق جلابيب مساويه ، فتوخيت أن يجمعنا

---

(١) المتنبى فى فراره من مصر لم يقصد إلى الكوفة مباشرة بل عرج على الحجاز وسار فيه إلى أن قارب مدينة الرسول ولكنه لم يدخلها وما زال يتنقل فى مضارب الأعراب مدة لا تقل عن أربعة أشهر حتى إذا أحس أن عيون كافور وأرصاده قد انصرفت عن تتبعه خرج إلى الشام ثم إلى الكوفة وقد تتبع ياقوت فى معجم البلدان هذه الرحلة تتبعاً دقيقاً فكلما ذكر بلداً أو ماء مر به المتنبى ذكر فيه شيئاً من أخباره وربما استشهد بشىء من شعره .

* هذا العنوان من وضعنا

(٢) أبو على الحاتمى : هو محمد بن الحسن بن المظفر (كما فى معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) ، كان من المولعين بدرس الشعر ونقده وله فى ذلك عدة مؤلفات وقد خدم سيف الدولة مدة كان فيها مع أبى على الفارسى وابن خالويه وأبى الطيب اللغوى وأمثال هؤلاء ممن كانوا فى بساط سيف الدولة ، وكان معاصراً للمتنبى وذا صلة بالوزير المهلبى ، وكلاهما يضمر للمتنبى أشد العداوة فتربص الحاتمى منتظراً قدوم المتنبى بغداد ليناظره ، ويؤلب عليه العامة ، ويزهدهم فى شعره ، وقد تم له ما أراد ، توفى سنة ٣٨٨ هـ . وما قصه المؤلف من مناظرة الحاتمى للمتنبى مختصر لم يلتزم فيه نص ما قال الحاتمى ، والرسالة منشورة بنصها بكتاب الإبانة طبع دار المعارف .

(٣) معز الدولة : يريد معز الدولة بن بويه . (٤) يريد سيف الدولة .